في عمر الثامنة والثلاثين، تاركا حوالي خمسين مؤلفا باللغتين العربية، والفارسية.

ويقسم سيد حسين نصر هذه الآثار إلى ثلاثة أقسام:

١ - الكتب التعليمية الأربعة التي تبحث أولاً في الفلسفة المشائية كما يراها، ثم يعرض فيها لنظريته الاشراقية. وهذه الكتب الأربعة هي: التلويحات، والمقامات، والمطارحات (تعرض المذهب الأرسطي) وحكمة الاشراق (نظرته الاشراقية).

٢ - تبسيطات لرسائله الاساسية، وهي تشمل هياكل النور، الالواح العمادية، برتو نامة (رسالة في الاشراق)، في اعتقاد العلماء، اللمحات، يزردن شناخت (معرفة الله)، بستان القلوب.

٣ - قصص أو روايات صوفية معظمها باللغة الفارسية وتشتمل عقل سرخ (العقل الأحمر) أواز برجبرائيل (حفيف أجنحة جبريل) الغربة الغربية، لغت موران (لغة النمال) في حالة الطفولية، روزي با جماعات صوفيان (يوم مع جماعة الصوفيين) رسالة في المعراج، صفي سيمرغ (صفير العنقاء).

٤ - ترجمات من العربية الى الفارسية وشروحات، وتشمل هذه المجموعة «رسالة الطير لابن سينا وشرح الاشارات، رسالة في حقيقة العشق.

٥ - أدعية وأوراد أطلق عليها اسم الواردات والتقديسات[١].

التعريف بالكتاب:

أشارت الكثير من المصادر إلى كتاب «كلمة الصوفية»، وصوبت هذه النسبة، حيث أشار إلى ذلك كل من: «الشهرزوري، وياقوت الحموي، وقطب الدين الرازي»[٢] كما أن مادة الكتاب تتشابه بمحتواها بما أورده في كتبه الاشراقية، كما توجد في الجامعة الامريكية في بيروت رسالة مصورة في معهد أحياء التراث بعنوان «مقامات الصوفية وشرح مصطلحاتهم» ورد في نهاية النص وتمت كلمة التصوف للشيخ المقتول. مما يؤكد هذه النسبة، مع الاشارة إلى أن الكتاب يحتوي بالاضافة إلى الاصطلاحات الصوفية الكثير من المواد الأخلاقية التي تعكس رأي السهروردي.

(١) أعتمدنا في هذا التقديم على ما أورده الدكتور سيد حسن نصر في كتابه «ثلاثة حكماء مسلمين» الصادر عن دار النهار عام ١٩٧٨ ميلاديا.

(٢) السهروردي، شهاب الدين: «سه رسالة أز تصوف» تقديم بخفقلي حبيبي، طهران، ١٣٩٧ هـ. ق ص سي وجهار.

منهجية العمل:

ليست الغاية من عرض هذا الكتاب وتقديمه للقارىء العربي، اعادة الكشف عن مخزون التراث الاسلامي فحسب؛ انما القصد منه توضيح كيفية تطور المصطلح الصوفي مع السهروردي - هذا التطور الذي سيشهد نقلة ثانية مع الشيرازي - فالكتاب سيكون واسطة منهجية تؤرخ لعملية تطور كبيرة حصلت داخل العقل الاسلامي؛ ولذلك أعدنا توزيع مواده طبقاً لألفباء اللغة العربية - دون المس بالمحتوى العام للكتاب فهو بقي بمادته الاساسية حاضراً -، حتى نسهل على القارىء الوصول إلى المصطلح من جهة، وحتى يتحول هذا العمل إلى أداة وظيفية، نوضح من خلال مقارنته بالنصوص الصوفية التقليدية مدى التطور الذي لحق بالمصطلح الصوفي، الذي تداخل مع المصطلحات العقلية - وهذه المنهجية ستعتمد من بعده لدى معظم الفلاسفة الالهيين. - فشخصية السهروردي تظهر من خلال هذا النص، وكذلك منهجه الذي ألف من خلاله بين الحلاج، والغزالي، وابن سينا من جهة، والفلسفات الفيثاغورية، والأفلاطونية من جهة أخرى.

كلمة التصوف للسهروردي

المحمود الله، ومحمد رسوله. اللهم لك العبادة والتسبيح والأذكار والتقديس، وإليك القربات، ومنك البركات، انك واهب الحياة. صل على ملائكتك المقربين، وأنبيائك المرسلين، وأهل طاعتك أجمعين. وخصص سيدنا محمدا وآله بأفضل التحيات والصلوات.

وبعد أيها الأخ الشفيق والحميم الصديق، فان الصداقة التي تأكدت بيننا، ألزمتني إسعافك في تحرير كلمات مومئة إلى الحقائق، شارحة لمقامات الصوفية ومعاني مصطلحاتها، وما أستر حواليه من المعارف، وعلم القلب، وما فوقها وما دونها، وثبت ما يفتقر إلى البراهين، وعلى سرد مضبوط ونسق مطبوع، من غير كثير تبع لاصطلاحات أصحاب الحقيقة في العلوم البرهانية. فبادرت إلى إجابتك وقربت ما يقع عليه الاصطلاح إلى فهمك، نازلاً إلى قدر قوتك. وليعذرني أبناء الحقيقة على استعمال ألفاظ بازاء معان، خصصناها بها ههنا فان المقصود واحد.

حرف الألف:

الاتحاد والاتصال الامتزاج: واما الاتصال والامتزاج، فليس بمتصور على المعاني الظاهر في ما ليس بجسم، ولا الاتحاد، فان النفوس بعد المفارقة، ان اتصلت بعضها ببعض أو بواجب الوجود، أو امتزجت فهي أجسام، وهذا محال. وشيئان غير جسميين لا يمكن اتحادهما، فانه ان بقي كلاهما فهما اثنان فلا اتحاد، او بطل كلاهما، فلا اتحاد، أو بقي أحدهما وانتفى الآخر، فلا اتحاد أيضاً، بل هذه الفاظ كلها راجعة الى اختلاس[1] النفوس واستغراقها في اللذة والبهجة على ما سبق.

والنفس ليست واحدة لجميع الابدان، والا كان مدرك كل واحد مدرك للكل، وانائية كل واحد بعينها انائية الآخر، وهو محال.

وهذه الأحوال كلها راجعة إلى علوم ولذّات، سميت تلك اللذات، ان كانت سريعة الزوال «سوانح». فاذا ثبتت على جهة، تسمى باسم وعلى أخرى بآخر. والكل راجع إلى علم أو بهجة معرفة، وانتقاش بأمر غيبي يتأدى إلى الحس المشترك. وما يتوهم من الاتحاد فانما هو لشدة قرب. وقد اعترف به الحلاج - رحمه الله حيث قال: «أدنيتني منك حتى توهمت أنك اني»[2]. بل اعترف الحكماء، والعلماء، والأولياء بالاتصال بالعالم الاعلى، وهو عبارة عن رفع الحجب فيكون اتحادا عقليا[3].

(١) السلب أو التلون (لسان العرب مادة خلس ج٤ ١٧٢).

(٢) ترد الكثير من العبارات المشابهة لهذا القول عند الحلاج، إلا أن هذه العبارة لا ترد بحرفيتها التي أوردها السهروردي، ففي الطواسين يقول: «لا تصح هذه المعاني للمتواني ولا الفاني ولا الجاني ولا لمن يطلب الأماني. كأني كأني، أو كأني هو، أو هو أني» (طاسين الفهم) ويقول شعرا:

حويت بكلي كل كذلك يا قدسي — أقلب قلبي في سواك فلا أرى
فها أنا في حبس الحياة ممنع — تكاشفني حتى كأنك في نفسي
سوى وحشتي منه وأنت به أنسي — عن الأنس فاقبضني اليك من الحبس (أخبار الحلاج)

ويورد الطّوسي هذا القول فيه إطار شعري لكنه لا يشير إلى قائل هذا القول:

يا منية المتمني — أدنيتني منك حتى
أفنيتني بك عني — ظننت أنك اني (ص ٤٢٨)

ولكن ماسينيون يقول في كتابه «الحلاج» شهيد التصوف الإسلامي إن هذه الأبيات للحلاج (ص١١).

(٣) يقول القشاني: «الاتحاد شهود الوجود الحق المطلق الذي الكل به موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجودا به، معدوما بنفسه، لا من حيث أن له وجودا خاصا اتحد به فانه محال» (اصطلاحات الصوفية ص ٢٤) أما الاتحاد: «هو ملاحظة العبد عينه متصلا بالوجود الأحدي يقطع النظر عن تقييد وجوده واسقاط. اضافته اليه، فيرى اتصال مدد الوجود، ونفس الرحمن اليه على الدوام بلا انقطاع، حتى يبقى موجودا به.» (م.ن، ص ٢٤) ويعبر ابن عربي عن الاتحاد بقوله: «تصيير ذاتين واحدة لا يكون إلا في العدد وهو محال (تعريفات ابن عربي ص ٣٩٤).

الاتصال: انظر الاتحاد.

الادراك: اعلم أن إدراك الشيء؛ هو حصول صورته فيك.

الارادة: هي أول حركة للنفس الى الاستكمال بالفضائل[1].

الاستقراء: ونحن إذا حكمنا على كل واحد من جزئيات شيء؛ فإنما نحكم بما يلزم على الماهية لذاتها؛ لا بناء على استقراء الأشخاص. والاستقراء هو الحكم على كل، بناء على مشاهدة كثير من جزئياته. وهو ضعيف إذ ربما يخالف حكم ما لم يعهد حكم ما عهد.

الإشارة والعبارة: لا يلعبن بك اختلاف العبارات، فانه ﴿إذا بعثر ما في القبور﴾[2] وأحضر البشر في عرصة[3] الله تعالى يوم القيامة، لعل من كل ألف، تسعمائة وتسع وتسعين، يبعثون من أجداثهم[4]، وهم قتلى العبارات، ذبائح سيوف الإشارات، وعليهم دماؤها وجراحها. غفلوا عن المعاني، فضيعوا المباني[5].

اصابة الرأي: وهي حسن ملاحظة عواقب الأمور التي يتفكر فيها، حتى يدرك جهة الصواب على الوجه الملائم.

الاطلاع والانذارات والوهم: ما ترى من الأفعال الخارقة للعادة من التحريكات، والتسكينات، وانزال العذاب، والاستسقاء، وغيرها؛ من أخوان التجريد، ان صعب عليك التصديق، فاعلم ان البدن أطاع كلمة الله مع عدم الانطباع. ورأيت تسخن البدن، وان كان باردا، يغضب النفس. وشاهدت تأثير الأوهام، حتى أنها أسقطت الرجال عن حيطان مرتفعة، قليلة العرض. فالكلمة اذا تم ذكاؤها، أو تأيدت بالقدس، فلا عجب من أن تزداد قوتها، بحيث تكون كأنها نفس العالم. وادراك العلوم دون التعلم الكثير، ليس بممتنع بعدما شاهدت تفاوت أشخاص نوعك في الذكاء: فمن بليد غير منتفع بالفكر أبداً، ومن شديد الحس يحدس في كثير من المسائل، وليس

(١) يقول القاشاني الارادة: «جمرة من نار القلب، مقتضية لاجابة دواعي الحقيقة (ص ٢٧) أما ابن عربي فيقول: «الارادة وهي لوعة في القلب يطلقونها يريدون بها ارادة التمني وهي سنة، وارادة الطبع ومتعلقها الحظ النفسي، وارادة الحق ومتعلقها الاخلاص (أبو خزام المصطلات الصوفية ص ٤٠).

(٢) العاديات ١٠٠.

(٣) ساحة.

(٤) قبورهم.

(٥) يقول الطوسي في اللمع الاشارة: «ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه (اللمع ص ٤٠٤) ويرى ابن عربي: «الاشارة تكون مع القرب ومع حضور الغيب ويكون مع الغيب (ابن عربي ص ٢٩٦).

هاهنا حد يجب الوقوف عنده، فيجوز أن تكون كلمة قوية الجوهر، تدرك المعقولات في زمان قصير، لكمال جوهرها، وقوتها، وقربها من مبدئها، كما قال الله تعالى ﴿علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى﴾[1]. والاخبار بالكائنات ليس ببعيد، فان كلمات الأفلاك مطلعة على لوازم حركاتها الآتية والسابقة، ولا حجاب بين كلماتنا وبينها، إلا العلاقة البدنية حتى لو ضعفت الموانع أحياناً، كما في النوم لبعض الناس، أو لبعضهم في امراض موهنة للحواس، أو بالرياضات المخلّة بالقوى الباطنة، الموهنة، للمتخيلة، فإنها المشوشة دائما لقوة النفس بالذكاء، فتنتقش النفس - أعني الكلمة - بأمر قدسي، فيسري إلى عالم التخيل. وربما يلمع (الأمر القدسي) في الحس المشترك، فيرى مشاهدة في نوم أو يقظةَ صورةٍ جميلةٍ، أو يسمع خطابا، حسن النظم، عجيب السياق، أو تظهر صورةُ الغيب مشاهدة. ولمّا كانت الحواسّ الباطنةُ ممكنا توهينُها، دون ابطالِها بالكلية، فقال القائل الحق (سبحانه وتعالى): ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا﴾[2]. فان الانسان ما دام في هذا العالم لا ينقطع عنه وسواس الخناس، الذي سلطه الله عليه. والوهم هو ابليس لم يسجد لخليفة الله وكلمته حين سجدت ملائكة القوى كلها ﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾[3]؛ ولهذا كل ما يحكم به العقل من الأمور المجردة عن المادة، ينكرها الوهم، وهو إلى يوم البعث من المنظرين. فاذا خرج الانسان من القبر حضر اجله. وقد قال الشارع عليه السلام: «ما منكم من احد الا وله شيطان[4]». وكما ان الخيال يأخذ من الحس المشترك، قد تستولي المتخيلة على الحس المشترك عند فترة الحواس عن اشتغال الحس المشترك، او اشتغال النفس عن استعمال المتخيلة في الأفكار، فتلوح الصور في الحس المشترك فلهذا ما يرى من الجن وغيرهم. والمشاهد لو غمض عينه رآه مع الغموض، فهو من سبب باطن.

(١) النجم ٥ - ٦.
(٢) الحجر ٣٧.
(٣) البقرة ٣٤.
(٤) هناك الكثير من الآيات الدالة على هذا المعنى في القرآن الكريم منها على سبيل المثال ﴿قال انظرني إلى يوم يبعثون، قال انك من المنظرين، قال فيما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ الأعراف ١٢-١٥ ﴿قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون، قال فانك من المنظرين، إلى يوم الوقت المعلوم، قال بعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ (ص٧٩-٨٢).

الامتزاج: انظر الاتحاد.

الامانة: من تفاريع الغضبية؛ وهي حفظ النفس عن التصرف في مال الغير عنده، وذبّه عنه لينتفع به، وحفظ ذلك من غير صاحبه إلا باذنه، وضبطه عما يفسده بحسب الطاقة ان كان مما يحتاج الى ذلك. ويقابلها الخيانة.

الانذارات: انظر الاطلاع.

الأنس: حالة للنفس تتضمن ابتهاجاً لها، فتصير مطمئنة بالنسبة إلى المبادىء، وما يرد عليها من النور الملذ[1].

حرف الباء:

الباري: واعلم ان الباري تعالى أشد مبتهج لذاته؛ لأنه أشد كمالا وأعظم مدرك، ومدرك بأتم الادراك، عاشق لذاته، معشوق لذاته ولغيره.

البسط: هو كون النفس في ما هي بسبيله على نشاط وضرب بهجة[2].

بقاء النفس: الكلمة لا تنعدم لبقاء موجبها. ثم انتفاؤها اما ان يكون لانتفاء شرط، وأخرى ما يكون شرط كمالها، فكانت عديمة الكمال لا يتصور استمرار وجودها، وان كانت في البدن، اذ هي غير منطبعة. أو لوجود مانع: وليست مكانية، ولا حالة في شيء حتى يضادها ويزاحمها شيء لو كان لها مانع مبطل، لكانت هيئاتها الردية، فذات

(١) عن الكلاباذي: «سئل الجنيد عن الأنس ما هو؟ فقال: الأنس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة. معنى ارتفاع الحشمة: أن يكون الرجاء أغلب عليه من الخوف. وسئل ذو النون عن الأنس. فقال. هو انبساط المحب إلى المحبوب... وقال ذو النون أدنى مقام الأنس أن يلقى في النار فلا يغيبه ذلك عمن أنس به (التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٠٦) أم ابن عربي: «فقد غلط جماعة المتصوفة في تعريفهم للأنس، وانساق مع نفيه لتعريفاتهم إلى نفي «الأنس بالله جملة واحدة. ولكنه نفي آني سيستبدل في المرحلة الثانية أنسا آخر جديدا» (سعاد الحكيم: المعجم الصوفي ص ١٤٨) وقد عبر ابن عربي عن هذا الأنس الجديد بقوله: «أثر مشاهدة جمال الحضرة الالهية في القلب وهو جمال الجلال» (مصطلحات ص ٢٨٧).
(١) يقول الجرجاني في تعريفاته: «القبض والبسط: وهما حالتان بعد ترقي العبد عن حالة الخوف والرجاء، فالقبض للعارف كالخوف للمستأمن» (التعريفات ١٧٨) ويعبّر القشيري عن القبض والبسط: «... من الفصل بين القبض والخوف، والبسط والرجاء. أن الخوف انما يكون من شيء من المستقبل... واما القبض فلمعنى حاصل في الوقت. كذلك البسط فصاحب الخوف والرجاء: تعلق قلبه في حالتيه بآجله، وصاحب القبض والبسط آخذ وقته بوارد غلب عليه في عاجله» (الرسالة ص ١٢٦). ويقول القاشاني الفرق بين القبض والبسط والخوف والرجاء: «أن تعلق الخوف والرجاء بالمكروه والمرغوب والمتوقع، والمتوقع في مقام النفس والقبض والبسط انما يتعلقان بالوقتين الحاضر لا تعلق لهما بالأجل» (اصطلاحات الصوفية ص١٤٢).

الرذائل ما تقرر وجودها، وليس كذا. فلا فارق بين مفارق البدن وقبلها إلا قطع علاقة عرضية. ولا يبطل الجوهر ببطلان الاضافات، قال الله تعالى: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾[1]. وقال عليه السلام: «إنكم لا تموتون وإنما تنتقلون من دار إلى دار»[2] وما أحسن ما قال عالم العرب: «الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا»[3].

البيان: وهو تحسين نقل ما في ضمير المخاطب إلى ضمير من يخاطبه، ويقابله، العي.

حرف التاء:

التفرقة: هي كون النفس متصرفة بالقوة البدنية المختلفة، وقال قائلهم:

«تحققتك في سري وناجاك لساني ان يكن غيك التعظيم عن لحظ العياني
فاجتمعنا لمعاني وافترقنا لمعاني فلقد صيرك الوجد من الأحشاء داني»[4-5]

التكثر: والمستقيمات لها نهاية، فيجب ان تكون المستديرات. والزمان، مقدار حركتها، وهي الأفلاك. والعقل الفعال، تكثر معلولاته انما هي لاستعدادات مختلفة لحركات مختلفة. والفاعل المتشابهة أحواله، يجوز أن تختلف آثاره لاختلاف القوابل. ولا تتغير العقول، وإلا أدى تغيرها إلى تغيُّر واجب الوجود وذلك ممتنع. وليست علوم المفارقات زمانية فإن علم ما سيكون يتغير إذا وقع الشيء أو زال. فتجدد الأشياء من - الواجب لتجدد الاستعدادات. وما بنى الجاحدون كلامهم في وجوب نهاية الحركات، انما هي اجتماع حركات معدومة، واجتماعها محال فلا كل لها في الوجود، وحال ماضيها كحال مستقبلها، فبطل معتصمهم.

التناسخ: واعلم ان التناسخ محال، اذ المزاج يستدعي من الواهب كلمة، فلو قارنته الكلمة المستنسخة، فكان في حيوان واحد ذاتان مدركتان مدبرتان، ذلك محال.

(١) المؤمنون ١١٥.
(٢) ورد هذا الحديث في بحار الأنوار ج٦ ص ٢٤٩ رواية ٨٧ باب٨ (عن غير معصوم).
(٣) البحار ج٤ ص ٤٢ رواية ١٨ باب ٥ على لسان الامام علي عليه السلام.
(٤) ديوان الحلاج ص ١٤٦ ولكن بعض المصادر تشير إلى أن هذه الأبيات للشبلي (انظر اللمع).
(٥) يقول الجرجاني: «التفرقة هي توزع الخاطر للاشتغال من عالم الغيب باي طريق كان» (التعريفات ص ٦٦).

التواضع: وهو حط الانسان نفسه دون منزلة يستحقها من غير مقتضية، ويوازيه، التكبر والصلف[1].

التوبة: عبارة عن تألم النفس على ما ارتكبت من الرذائل مع جزم القصد إلى تركها، وتدارك الفائت بحسب الطاقة[2].

التوجد: هو استجلاب الوجد بالتكلف.

التوكل: هو دوام حسن ملاحظة القضاء والقدر في جميع الحوادث، دون اقتصار النظر على الاسباب الطبيعية[3].

التوحيد: ليس عبارة عن ما هو مشهور من معرفة الله في الوحدانية والقيومية؛ بل ههنا عبارة عن أفراد الكلمة عن عوائق علائق الاجرام بحسب الامكان، على وجه يطوي ملاحظة المبادىء والترتيب في العظمة القيومية. فليس وراءه مقام، وان كانت فيه مراتب[4].

حرف الثاء:

الثنوية: ضلت المجوسية حيث قالت: «إن لله شريكا» اذ الاثنان هما واجبا الوجود. وما

(١) سئل الجنيد عن التواضع فقال: هو خفض الجناح، وكسر الجانب. وقال رويم: التواضع: تذلل القلوب لعلام الغيوب. قال سهل: كمال ذكر الله: المشاهدة، وكمال التواضع: الرضا به (الكلاباذي ص ٩٧).
(٢) سئل الجنيد بن محمد عن التوبة ما هي؟ فقال. هو نسيان ذنبك. وسئل سهل عن التوبة. فقال. هو أن لا تنسى ذنبك. فمعنى قول الجنيد أن تخرج حلاوة ذلك الفعل من قلبك خروجا لا يبقى له أثرا، حتى تكون بمنزلة من لا يعرف ذلك قط. وقال رويم. معنى التوبة أن تتوب من التوبة، معناه، ما قالت رابعة: استغفر الله من قلة صدقي في قول أستغفر الله. سئل الحسين المغازلي عن التوبة. فقال تسألني عن توبة الإنابة، أو توبة الاستجابة؟ فقال السائل: ماتوبة الانابة؟ قال: أن تخاف الله من أجل قدرته عليك. قال فما توبة الاستجابة؟ قال: ان تستحي من الله لقربه منك» (الكلاباذي ص ٩٢).
(٣) عن القشيري: «سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول: سمعت أبا موسى الديلبي يقول: قل لأبي يزيد، ما التوكل؟ فقال لي: ما تقول أنت؟ فقلت: إن أصحابنا يقولون: لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك. فقال أبو يزيد: نعم، هذا قريب، ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار بالنار يعذبون، ثم وقع لك تمييز عليهما .خرجت من جملة التوكل... اعلم ان التوكل حمله القلب، والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل بالقلب، بعد ما تحقق العبد ان التقدير من قبل الله تعالى، فان تعسر شيء فبتقديره، وإن اتفق شيء فبتيسيره» (الرسالة ص ٣٦٢).
(١) قال الكلاباذي: «أركان التوحيد سبعة: أفراد القدم عن الحدث، وتنزيه القديم عن ادراك المحدث له، وترك التساوي بين النعوت، وازالة العلة عن الربوبية، واحلال الحق عن ان تجري قدرة الحدث عليه فتلونه وتنزيهه عن التمييز والتأمل، وتبرئته عن القياس. وقال محمد بن موسى الواسطي: جملة التوحيد: ان كل ما يتسع به اللسان أو يشير إليه البيان: من تعظيم، أو تجريد، أو تفريد. فهو معلول، والحقيقة وراء ذلك... وقال الشبلي: لا يتحقق العبد بالتوحيد حتى يستوحش من سره وحشة لظهور الحق عليه (التعرف ص ١٣٥).

زعم البعض من ان الصانع حدث فيه ما أوجب الشر، فعلمت ان الكلام يعود الى ما حدث على ما سبق. فان الباري لا يتغير، وليس فيه جهة فاعلية وقابلية، فتتعدد ذاته. بل إنما أضلتهم جهة الامكانية، التي في أول ما خلق الله تعالى. والامكان والعدم منبعان للشر. وان الشر لا ذات له؛ بل هو عدم ما لكمال أو غيره؛ إذ وجود شيء لا يبطل شيئاً عن غيره، ولا يكون ضررا لنفسه ولا لغيره، وما يعد شرا فانما هو لتأدية الى ما قلنا.

ومن الأجسام ما لا يتصور وجوده إلا ويتبعه شر قليل، أقل من نفعه، كالنار المحرقة، لاتفاق حركات سابقة ثوب فقير. ولا يمكن أن تجعل النار غير النار، والفلك غير الفلك، وبالضرورة يلزم عنهما نحو هذه، ولا يجوز ان يترك خير كثير لشر قليل، فيكون الشر شرا كثيرا. وانما لزم عن الجهة الامكانية اللازمة عما أبدعه الله تعالى أولا. ولوازم الماهيات لذاتها، لا امكان لرفعها.

حرف الجيم:

الجزئي: كل صورة لا يمكن مطابقتها للكثيرين كمفهوم «زيد» أو «هذا» أو «هذا الإنسان» فهو جزئي[1].

الجسم: كل جوهر يمكن فيه تقدير طول وعرض، وعمق، فهو جسم. والأجسام كلها لمّا تشاركت في الجسمية، وهي متفرقة، فافتراقها بالهيئات. والجسم لا ينقسم إلى ما ينقسم في الوهم، إذ لو كان له جزء غير منقسم، لكان الواحد المحفوف بالستة، إن حجب بينها عن التماس، فقد لاقى كل واحد منها، منه شيئاً غير ما لقيه الآخر، فانقسم ما لا ينقسم وهو محال. وإن لم يحجب فيلقى كل واحد من الستة كل الوسط، وكل الآخر؛ وهو التداخل المحال، ولا يبقى في العالم حجم لتداخل الأطراف في الوسائط.

الهيئة لا تنتقل من جسم إلى آخر، فتستقل بالحركة فيما بينهما، فيلزمها طول وعرض وعمق، لاستقلالها بالجهات، فصارت جسما، وكانت هيئة وهذا محال.

الجسم يجب أن يتناهى، وكذا كل عدد موجود آحاده معا مع ترتيب ما. فإن الامتداد غير المتناهي، أو الصفات المترتبة غير المتناهية والعلل والمعلولات، لو أمكنت، كان لنا أن نحذف عشرة أذرع، أو عشرة أعداد من وسط السلسلة غير المتناهية، ونوصل بين طرفي

(١) ما يكون مؤلفا من أجزاء متتاثرة (أبو خزام، ص ٨٦).

المحذوف، فنأخذه دون الحذف سلسلة ومعه أخرى، ونطبق في العقل بين السلسلتين، فلا بد من التفاوت، والا يستوي الزائد مع الناقص وهو ممتنع قطعاً، والتفاوت لا يقع في الوسط للوصل المذكور فيقع في الطرف، فالناقص تناهى، والزائد زاد عليه بالمتناهي، وما زاد بمتناه فهو متناه. أما إذا اجتمعت الآحاد دون الترتيب، أو الترتيب دون اجتماع الآحاد فلا تلزم النهاية.

والجسم يلزمه لضرورة النهاية، شكل ومقدار. ولو لزمه ذلك للماهية لاستوت مقادير الأجسام، وتماثلت أشكالها، حتى مقدار الكل والجزء وشكلهما، وذلك ممتنع، فلا بد ممن يفيدها المقدار والشكل والهيئة. ولا يكون جرما، وإلا عاد الكلام إليه، فتعين أن يكون المفيد خارجاً عن الأجسام. والأجسام متعددة فتحتاج إلى مخصصات لها، ولو اقتضتها ماهية الجرمية لاتفقت. فلا بد فيها أيضاً من مفيد ليس بجسم ولا جسماني، وهذا يدلك على وجود الصانع.

الجمع: وهو اقبال النفس على الجنب العالية دون الالتفات إلى كثرة الجرمية[1].

الجهة: انظر الحركة.

الجهات العقلية: الجهات العقلية ثلاثة: واجب، وممكن، وممتنع.

الجود: الجود افادة ما ينبغي لا لعوض؛ فمن أعطى لمدح، أو ثناء، أو لتخلص عن مذمة، فهو معامل. والملك الحق، تعالى، ما له ذات كل شيء.

الجوهر: كل شيء لا يتصور حلوله في غيره بالكلية خصصناه هاهنا باسم الجوهر.

حرف الحاء:

الحافظة: أنظر الحواس.

الحال: عبارة عن كمال سريع الزوال غير محسوس[2].

(٣) يعتبر الكلاباذي: «الجمع الذي يعنيه أهله هو أن يصير ذلك حالا له، وهو أن لا تفترق همومه، فيجمعها تكلف العبد، بل تجتمع الهموم فتصير بشهود الجامع لها هما واحدا، ويحصل الجمع اذا كان بالله وحده دون غيره (التعرف ص ١١٩) ومع ابن عربي: «الجمع: «شهود الحق بلا خلق» (ابن عربي ص ٢٩٦).

(١) الحال نازلة تنزل بالعبد في الحين، فيحل القلب من وجود الرضا والتفويض وغير ذلك، فيصفو له في الوقت في حاله ووقته ويزول، وهذا كما قال الجنيد رحمه الله، وعند غيره، الحال: ما يحل بالاسرار من صفاء الاذكار ولا يزول، فاذا زال فلا يكون ذلك حالا (الطوسي اللمع) والحال عند ابن عربي: «ما يرد على العبد من غير تعمل ولا اجتلاب، ومن شرطه أن يزول أو يعقبه المثل بعد المثل أن يصفو» (ابو خزام، ص ٧٢).

الحدس والفطنة: وهي جودة الحدس؛ وهو سرعة هجوم النفس على المبادىء إلى الحقائق من غير طلب كثير، ويوازيها من الرذائل، الغباوة[1].

الحركة والجهة والإشارة: الحركات مختلفة بالجهات. والجهات مختلفة، ولها وجود، إذ لا تقع الحركة، والإشارة إلى العدم، ولا يتصور أن يكون ما منه الجهة منقسماً، إذ لو انقسم، لوقعت الإشارة والحركة في العدم، وهو محال. فمحدد الجهة ليس من جسمين فصاعدا، وإلا يمكن ائتلافهما وانقسامهما، فينقسم ما منه الجهة وهو محال، وليس المحدد بجرم واحد قاصر على طرف، فانه لا يتحدد به إلا طرف واحد، وكل امتداد من طرفان. ولا تختلف الجهات بجسم واحد متشابه الأجزاء، إذ لا أولوية لعلوية بعض، وسفلية الأخرى. فينبغي أن يكون بجرم واحد، لا من حيث هو واحد، بل يكون محيطا يحدد القرب منه بالمحيط والبعد بالمركز. والمحدد لا تنخرق أجزاؤه، لما قلنا فلا يتحرك على الاستقامة ولا هو، وإلا يلزم أن تكون وراءه جهة لا يكون هو المحدد، وهو محال. فهو يتحرك على الوسط، وما يتحرك على الاستقامة ان كان بخصوصية يقتضي الحركة عن الوسط، فتلزمه الحرارة، أو إلى الوسط فتلزمه البرودة. والذي يقبل الانقسام والتشكل، وتركه بسهولة فهو الرطب، والذي يقبل ذلك ويتركه بصعوبة فهو يابس. فحصلت أربعة أقسام: حار يابس هو النار، وحار رطب هو الهواء، وبارد رطب هو الماء، وبارد يابس هو الأرض، وهو في المركز، والمركز هو الأسفل. والمحيط منه العلو في جميع الجهات.

الحزم: وهو تقديم العمل في الحوادث الممكن وقوعها، بما هو أسلم وأبعد عن الضرر ويوازيه، العجز[2].

حسن العهد: وهو المحافظة على أحوال القربات، والصداقات، والاعتناء بها، وتذكرها. ويوازيه من الرذائل، سوء العهد.

الحقيقة: الحقيقة شمس واحدة لا تتعدد بتعدد مظاهرها من البروج. المدينة واحدة، والدروب كثيرة، والطرق غير يسيرة. الحقيقة تنقسم إلى «بسيطة» وهي التي لا جزء لها في العقل كمفهوم الوحدة. وإلى «غير بسيطة»، وهي التي لها أجزاء كالحيوان، فانه مركب من الجسم والأمر الذي موجب حياته فأحدهما الجزء العام، والآخر الجزء

(١) يقول الجرجاني: «الحدس سرعة انتقال الذهن من المباديء إلى المطالب ويقابله الفكر، وهي أدنى مراتب الكشف. (ص ٩٠).

(٢) الحزم عند الجرجاني «أخذ الأمور بالاتفاق» (ص٩١).

الخاص، وحقيقته مركبة منهما، والجزء يتقدم تعقله على تعقل الحقيقة تقدما عقليا كالجسم على الحيوانية[1].

حكماء الفرس: وكانت في الفرس أمة، يهدون بالحق، وبه كانوا يعدلون، حكماء فضلاء غير مشبهة المجوس، قد أحيينا حكمتهم النورية الشريفة، التي يشهد بها ذوق افلاطون ومن قبله من الحكماء في الكتاب المسمى بحكمة الاشراق وما سبقت إلى مثله.

الحكمة: توسط القوة العلمية فيما يدبر به الحياة ولا يدبر، وهي متوسطة بين البلادة والجربزة[2]. وهذه الحكمة غير الحكمة؛ التي هي ارتسام الحقائق في النفس، فانها كلما كانت أكثر فأجود كيف وقد قيل لصاحب الشرع عليه السلام ﴿وقل رب زدني علماً﴾[3].

حكمة خلق الهيولى والافلاك والعناصر: الم تر، يا عارف، الى ربك، انه لما كان وقوع جميع الممكنات دفعة محالا - وكان كل ما يقع من الصور والهيئات متناهية بالضرورة، لتناهي الأجرام والكلمات كانت ضرورية لها الأبدان كما سبق، ولو قدر غير المتناهي واقعا دفعة، لكان يبقى على الامكان ما لا يتناهى، وكلمات الله تعالى ﴿لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾[4] ولما كان الفاعل ذا قوة، غير متناهية على الفعل، كيف خلق هيولى، لها قوة القبول إلى غير النهاية؟ ولما كان لا يتصور تغير المبادي وجدت اجسام ربانية متحركة لغرض علوي، يتبعه رشح الخير الدائم والبركات، فتلزمها استعدادات. فلو كانت كلها انوارا، لأفسدت ما تحتها من فرط الحرارة، ولو كانت عرية في النور، بقيت العنصريات في ظلمة أبدا، ولو ثبت نورها على موضع واحد، لأثرت بافراط فيما قابلها مع حرمان غيره عن نورها، ولو لازمت[5] دائرة الوحدة، لأثرت أيضا بافراط فيما قابلها، وتفريط فيما وراء ذلك.

(١) قال الجنيد: «لا يبلغ أحد درج الحقيقة حتى يشهد فيه ألف صديق أنه صندیق» (الحكيم، ص ٣٥٥) وعند ابن عربي: «الحقيقة سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بأنه الفاعل بك فيك منك لا أنت ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها (ابن عربي ص ٣٠).

(٢) ذهب أو انقبض (لسان العرب، مادة جربز).

(٣) طه ١١٣.

(٤) الكهف ١٠٩.

(٥) شدت (لسان العرب مادة زمم).

أنظر كيف جعل لكل فلك حركة سريعة يومية بالعرض، تابعة للمحرك الأقصى، وحركة أخرى لنفسه بطيئة يميل بها إلى النواحي. ولو أن ما بين الأرض والأفلاك ذو لون، ما وقع الشعاع على الأرض. ولو لم تكن الأرض متلونة، ما ثبت عليها الشعاع. ولو أن غير النار جاور الفلك؛ لسخنه بالحركة وأفسده، فوضع النار عند الفلك. ودونها، الهواء المشارك لها في الحرارة. ودون الهواء الماء المشارك له في الرطوبة. ودون الماء الارض التي هي الثقيل المطلق المشارك له في البرودة. والماء إن أحاط الأرض، منعت الحيوانات الشريفة عن استنشاق الهواء؛ وهي محتاجة اليه، فكان الماء موجبا للأخاديد المانعة عن الاحاطة. رحمة من الله على خلقه وخليفته.

حكمة القوى: ألم، ترى يا عارف، إلى ربك كيف خلق للعنصريات حرارة هي محللة، ملطفة محركة، وبرودة مسكنة، عاقدة، ورطوبة قابلة للتشكل وفقه، ويبوسة حافظة للأشكال والتقويم. ولما كانت هذه الحيوانات محتاجة إلى عناية الجوهر اليابس الحافظ للصور وأشكال الأعضاء وربط الأجزاء، كيف خلقت في الوسط عند الجوهر اليابس البارد، وكيف ركب العناصر، واعد لكل مزاج كمالا. ولما كان النبات والحيوان لم يحصل دون أن يقبل التحليل، كيف ركب لهما قوة غاذية متصرفة في الغذاء، المحيلة له إلى شبيه جوهر المغتذي. ولما كان لم يحصل الحيوان والنبات على كمالهما أول مرة، كيف رتب النامية الموجبة لزيادة أجزاء المتغذي في الأقطار على نسبة محفوظة، وكيف استبقى نوع ما وجب فساده، بقوة مولدة قاطعة لفضله من مدة وهي مبدأ لشخص آخر وقد دلك على تغاير هذه القوى وجود الغاذية أولا، دون المولدة، وبقاء المولدة والغاذية بعد النامية، وكيف رتب للغاذية ما يخدمها من قوة جاذبة، يأتيها ما تصرف فيه وهاضمة محللة للغذاء، معدة اياه لتصرف الغاذية، وماسكة تحفظ الغذاء لتصرف المتصرف، ودافعة لما لا يقبل المشابهة. وكيف رتب للحيوان قوة مدركة، ومحركة، وزاد للمزاج الأشرف الانساني كلمة مدرك، إذا كملت عادت الى ربها. فاذا فارقت صارت ملكا وملكا ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيراً﴾[1] لهم ﴿فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون﴾[2].

فهلمّ؛ يا عارف، نسبح بربنا طربا وشوقا. فهلمّ يا عارف، نفرح، ونزمزم بالتهليل،

(١) الانسان ٢٠.

(٢) الزخرف ٧١.

والتكبير. هلمّ يا أخا الحقيقة، نقدس الرب بصوت حزين، هلمّ، يا أخا الحقيقة، ندعو قيم العالم بقلب كئيب، وروح شيق، ونغمة رخيمة. بادر يا عارف، لنذكر ربنا، ونناديه نداء خفيا في حندس[1] الليالي. يا عيون المحبين، اين دموعكم الماطرة؟ يا قلوب المشتاقين! أين زفراتكم الصاعدة؟ يا أرواح العارفين؟ أين رنينكم؟ يا خواطر الواجدين! أين أنينكم؟ سبحانك لا إله إلا انت يا رب الأرباب، يا ممد الملكوت بنور جلاله! يا من اذا تجلى لشيء خضع له، يا خفي اللطف! يا من رش نوره على ذوات مظلمة، فنورها، وقذف شعلة شوقه على الأفلاك، فدورها وسيرها. خضعت لعظمتك الرقاب. ولانت لهيبتك الصلاب. تلذذت بذكرك الأرواح الراقصات. وكدت لبارق عزتك الحواس الحائرات. يا من برق برق عزته في سرائر المنيبين[2]، وزمجر رعد هيئته في قلوب الخاشعين! يا صاحب الكلمة العليا، ورب السكينة الكبرى! هب لنا من لدنك رحمة إنك انت الوهاب. أفض على نفوسنا لوامع بركاتك، وعلى أرواحنا سواطع خيراتك، اجعلنا من السعداء العارفين لجلالك، المشاهدين بجمالك، الذاهبين فيك! انك على ما تشاء قدير.

الحلم: من تفاريع الغضبية؛ هو الامساك عن الابتداء إلى دعاء الغضب إلى الانتقام من الجاني، بحسب ما يقتضيه العقل، لا بناء على مانع خارج. ويقابلها سرعة الانتقام[3].

الحواس: وقد رتبت للانسان ونحوه حواس، خمسة ظاهرة، وهي اللمس، والذوق، والشم، والسمع، والبصر، وخمس باطنة: الأولى يسمى «الحس المشترك»؛ وهو قوة في مقدم الدماغ، تجتمع عنده مثل جميع المحسوسات، فيدركها، ويدرك بها ان هذا الابيض، هو هذا الحلو، الحاضرين، والحس الظاهر متفرد بأحدهما، والحاكم لا بد له من حضور كليهما. وما يرى في النقطة الجوالة بسرعة، فانما هي لتأدي الصورة من البصر إليها، وانضمام الابصار الحاضر اليها، فان البصر لا يدرك الا المقابل، والمقابل نقطة لا غير، وكلما يرتسم في الحس المشترك يشاهد.

والثاني «الخيال»؛ وهو قوة في آخر التجويف الأول من الدماغ؛ هو خزانة الحس

(١) ظلمة.

(٢) الذين يصيحون عند الهياج.

(٣) الحلم: «وهو الطمأنينة عند سورة الغضب وقيل تأخير مكافأة الظالم (الجرجاني، التعريفات ص ٨٩).

المشترك لجميع صوره. والثالث قوة في التجويف الأوسط؛ هي الحاكمة في عجم الحيوانات؛ وهي التي تدرك في المحسوسات معانٍ غيرَ محسوسة، كادراك الشاة معنى في الذئب موجبا للهرب فيسمى «الوهم». وتخدمه فيها قوة (وهي الرابعة)، بها التركيب والتفصيل، فتركب الحيوان من أعضاء مختلفة أنواع الحيوان، وتفرق أعضاء حيوان واحد، وتنقل من الشيء إلى ضده وشبهه، وتحاكي المدركات وأحوال المزاج، سميت «متخيلة» وعند استعمال العقل، مفكرة. والخامس قوة في التجويف الأخير، هي حافظة وخزانة لأحكام الوهم، سميت «حافظة» وعرف تغاير هذه القوى ببقاء بعضها مع اختلال البعض، وعرفت مواضعها بلزم اختلالها من اختلال تلك المواضع.

الحياء: وهي هيئة للنفس تقتضي حسن الامتناع عن أمر يلاحظ تأديه إلى اللوم ويوازيها، الوقاحة[1].

الحيوان: وفي الحيوان قوة محركة؛ وله قوة نزوعية باعثة على التحريك، مذعنة[2] للمدركات: منها «شهوانية» جلابة للملائم، «وغضبية» دافعة للمكروه. وفي الحيوان جرم لطيف حار يحصل من لطافة الأخلاط مبدؤه من القلب، سماه الحكماء «الروح» وهو حاصل جميع القوى، وهو واسطة بين الكلمة والبدن، فان عضو الانسان، قد يموت مع بقاء تصرف الكلمة في البدن، لسدة منعت هذه الروح عن النفوذ اليه. وهو غير الروح المنسوب إلى الله تعالى أعني الكلمة التي قال فيها الله تعالى ﴿فاذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾[3] وقال تعالى ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾[4].

(١) قال الجنيد: «الحياء من الله عز وجل، أزال عن قلوب أوليائه سرور المنة» (طبقات الصوفية ص ١٦٢) أما القشيري فيقول: «الحياء على وجوه ١ - حياء الجناية كآدم عليه السلام لما قيل له أفرارا منا فقال لا بل حياء منك ٢ - حياء التقصير كالملائكة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ٣ - حياء الاجلال كاسرافيل عليه السلام تسربل بجناحيه حياء من الله ٤ - حياء الكرم كالنبي صلى الله عليه وآله ٥ - حياء الحشمة كعلي عليه السلام حين سأل المقداد ٦ - وحياء الاستحقار كموسى عليه السلام قال اني لتعرض علي الحاجة من الدنيا فاستحي أن أسألك يا رب ٧ - وحياء الانعام هو حياء الرب سبحانه يدفع الى العبد كتابا مختوما بعدما عبر الصراط واذا فيه فعلت ما فعلت ولقد استحييت ان اظهر عليك فاذهب فاني غفرت لك...» (الرسالة القشيرية ص ٩٨ - ٩٩).

(٢) مقرة وخاضعة (لسان العرب مادة ذعن).

(٣) الحجر ٢٩.

(٤) النساء ١٧١.

حرف الخاء:

الخاطر: هو ما يرد على النفس من السوانح الداعية إلى أمر ما - كان متعلقا بالجنبة العالية أو السافلة[1].

خاطر الحق: هو ما يرد على الكلمة الزكية من الداعي إلى اشراقها على كمالات القوة النظرية، وتعرضها لاشراق الأنوار اللذيذة عليها. وربما خص بعضهم هذا الخاطر ما دام الانسان مبتهجا بلذاته ومعارفه، خاطر الروح. فاذا عبر هذا المقام فهو خاطر الحق. الخاطر الردية، يقطع بذكر الله وأنواره كما قال الله تعالى ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون﴾[2].

الخاطر الردي: والخاطر الردي اذا قطعته أولا نجوت منه، وإلا يتأدى بك إلى ما لا يلائم.

خاطر الشيطان: هو الوهم المجرد، وهو معارضة الوهم للعقل في أمور غير محسوسة كانكاره لموجود لا في جهة وتناهي الامتدادات، وانكاره لنفسه وغير ذلك؛ وأيضاً، من خاطر الشيطان، أخذ، ما يرد من الداعي إلى العبادة وصالح العمل، لإراءة النوع.

خاطر الملك: وهو ما يرد على النفس من اصلاح القوة العملية، وتحصيل العدالة، وطلب السعادة الوهمية التي للبلّه والعامة.

خاطر النفس: عندهم سوانح من قبل القوة النزوعية، داعية إلى تحريكات شهوانية أو غضبية. وخاطر النفس، عند أكثرهم عبارة عن مجرد القوة النزوعية.

الخلسات: من أدام فكره في الملكوت، وذكر الله ذكرا صادرا عن خضوع، وتفكر في العالم القدسي فكرا لطيفا، وقلل طعامه وشهواته، وأسهر لياليه متملقا متخشعا عند ربه، لا يلبث زمنا طويلا، حتى تأتيه خلسات لذيذة، كالبرق، تلمع فتنطوي، ثم تلبث في نفسه وتبسطه ولا تطويه.

الخلق: انما هو هيئة تحدث للنفس الناطقة من جهة انقيادها للبدن أو انقياد البدن لها.

(١) عن الكلاباذي: «قال بعض الشيوخ: الخاطر على أربعة أوجه: خاطر من الله عز وجل، وخاطر من الملك، وخاطر عن النفس، وخاطر عن العدو، فالذي من الله تنبيهه، والذي من الملك حث على الطاعة. والذي من النفس مطالب الشهوة. والذي من العدو تزيين المعصية» (التعرف ص ٩٠) وتقول الدكتور سعاد الحكيم: «ان أكثر ما كتب الشيخ الأكبر في الخاطر والخواطر يذكر بالتعريف الكلاسيكي» (الحكيم ص ٤٠٦).

(٢) الأعراف ٢٠٦.

الخوف: هو تألم النفس بمكروه أخطر امكان حصوله في المستقبل. ويتخصص عندهم بالأمور والهيئات النفسانية من الفضائل والرذائل[1].

الخيال: انظر الحواس.

حرف الصاد:

الصادر الأول: الأول الوحداني لما لم يوجب غير واحد، فأول ما يوجبه ليس بجسم، فان الجسم فيه هيولى، وصورة، ومقادير وخصوصيات مختلفة، فلا يصدر عنه بلا واسطة، فأول ما يجب به جوهر عقلي وحداني هو الأمر الأول، كما قال الله تعالى ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر﴾[2] وهو نوره الأعلى.

الصبر: من تفاريع الغضبية، وهو ضبط الغضبية عن شدة التأثر بالمكروه النازل الذي يوجب العقل احتماله وعدم الجزع عنه. أو ضبطها عن حب مشتهى يوجب العقل اجتنابه[3].

الصحو: هو الرجوع عن هذه الحالة (السكر)[4].

الصدق: وهو موافقة الآله المعبرة، للضمير، بحيث يتوافقان ايجابا وسلبا. وصدقهما هو موافقتهما للأمر في نفسه ويوازيه، الكذب.

(١) قال أبو عمرو الدمشقي: «الخائف: من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من العدو. قال أحمد بن السيد حمدوية: الخائف: الذي يخافه المخلوقات. قال أبو عبد الله بن الجلاء: الخائف: الذي تأمنه المخلوقات. قال ابن خبيق: الخائف الذي يكون بحكم كل وقت: فوقت تخافه المخلوقات ووقت تأمنه، والذي تخافه المخلوقات هو الذي غلب عليه الخوف فصار خوفا كله، فيخافه كل شيء. كما قيل: من خاف الله خافه كل شيء والذي أمنته المخاوف هو الذي اذا ما طرقت المخاوف اذكاره لم تؤثر فيه لغيبته عنها بخوف الله تعالى. ومن غاب عن الاشياء غابت الاشياء عنه» (الكلاباذي ص ٩٧) اما ابن عربي فيقول: «ما تحذر من المكروه في المستأنف (ابن عربي ص ٣٠).

(٢) القمر ٥٠.

(٣) يورد الكلاباذي: «قال سهل: الصبر انتظار الفرج من الله تعالى وقال: هو أفضل الخدمة وأعلاها وقال غيره: الصبر أن تصبر في الصبر. ومعناه لا تطالع فيه الفرج» (الكلاباذي ص ٩٤) وتفنن ابن عربي في هذا المصطلح وعرفه على الشكل التالي: «فان الصبر حبس النفس. وقد حبستها (العبد) بأمري (بنص القرآن على الصوم) عما تعطيه حقيقتها من الطعام والشراب... وأما الخمسة (الاعمال التي يأخذ المريد بها نفسه في طريق الله) الباطنة فهي، الصدق، التوكل، والصبر، والعزيمة واليقين فهذه التسعة (٤ ظاهرة، السهر والجوع، العزلة، الصمت + ٥ باطنة) امهات الخير. تتضمن الخير كله. والطريقة مجموعة فيها. فألزمها حتى تجد الشيخ» (الحكيم، ص ٦٧٦).

(٤) يقول القشيري: «الصحو رجوع إلى الاحساس بعد الغيبة... والعبد في حالة الصحو يشاهد العلم (الرسالة ص ٣٨) ويورد ابن عربي: «الصحو رجوع الى الاحساس بعد الغيبة بوارد قوي (ابن عربي ص ٣٨٨).

صدور العقول والأفلاك: لما ثبتت ذوات مجردة بالكلية هي معشوقات للأفلاك، فلا تتصور كثرتها ولا كثرة الأفلاك عن أول، فوجب بالأول واحد. والأفلاك أيضاً لم تجب بواحد، اذ اكل فلك معشوق خاص يكون علته. فالعقول ينبغي أن تكون واحدا عن واحد سلسلة، وليس في كل واحد من الجهات، إلا أنه واجب بالأول، وله نسبة إليه، وممكن في ذاته، فاقتضى بما يعقل من نسبته إلى الأول، شيئا أشرف، وهو عقل آخر. وباقتضاء ماهيته وامكانه جرما ونفسا، فكانت تسعة أفلاك، لها تسعة من المباديء العقلية ومع فلك القمر، عاشر، منه العالم العنصري، وله معاونات من حركات الأفلاك، معدات للعناصر لاستعدادات مختلفة، فتختلف استعدادتها للكمالات من الواهب. وهذا العاشر، سمّاه الحكماء «العقل الفعال» وهو «روح القدس»؛ وهو موجب نفوسنا ومكملها، ونسبته إلى كلماتنا، كنسبة الشمس إلى الأبصار. وهو الذي قال لمريم: ﴿انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾[1] وهو واهب نوع المسيح.

كل حادث يستدعي مرجحا حادثا، أو جهة لها مدخل في الترجيح حادثة، ثم يعود الكلام إلى المرجح الثالث، فينبغي أن يتسلل إلى غير النهاية. ولما لم يتصور أن تكون العلل غير المتناهية مجتمعة، فيجب أن تكون مترتبة حادثة غير مجتمعة لا تنصرم، وإلا عاد الكلام إلى ما هو المبدأ، والحادث الذي يجب تجدده، انما هو الحركة.

حرف الطاء:

الطبائعية: لم تبين لك ان الانسان ما خلق عبثا، وانه راجع الى الله تعالى يوم الحشر، فعلمت بطلان مذهب الحشيشية[2]، والطبائعية. ودريت كذب جالينوس، وأتباعه من الذين يظنهم الحكماء، وهم في طغيانهم متحيرون، يكذبون أنبياء الله، ولا يرجون اليوم الآخر، فمنقلبهم دار العذاب.

حرف الراء:

الرجاء: هو ابتهاج النفس بملائم لها أخطرت إمكان حصوله في المستقبل[3].

(١) مريم ١٩.

(٢) يقول ابن عربي: «الرجاء الطمع في الآجل» (ابو خزام ص ٨٨).

(٣) فرقة اسماعيلية أسسها حسن الصباح.

الرحمة: وهي لحوق الرقة على ما حل به المكروه من الجنس، ويقابلها، القساوة[١].

الرضا: في مصطلحهم ملكة تلقى النفس لما يأتي بها، القدر، من الحوادث الجرمانية، على وجه، لا تتألم لوقوعه، بل مع ابتهاج لطيف نظرا إلى العلة السابقة العجيبة[٢].

حرف الزاي:

الزهد: هو الامساك عن الاشتغال بملاذ البدن، وقواه إلا بحسب ضرورة تامة؛ وهو يزيد على القناعة بترك كثير من الكفاية العرفية[٣].

حرف السين:

السخاء: من تفاريع الشهوانية؛ وهو ملكة الانسان لبذل ما له من المال لجنسه على حسب الحاجة، والرأي الصحيح، وهو بين البخل والاسراف.

السر: من تفاريع الغضبية، وهو ضبط قوة الكلام عن اظهار ما في الضمير في غير وقته وأهله. ويقابلها اذاعة السر والنميمة[٤].

سعة الصدر: من تفاريع الغضبية، وهو ان لا تتأثر النفس بهجوم الحوادث بحيث تتحير، بل تستعمل الواجب وان عظم الوارد. ويقابلها ضيق الصدر.

السكر: سانح قدسي للنفس، يؤدي إلى ابطال النظام عن الحركات[٥].

(١) قسم القاشاني الرحمة الى قسمين: «الرحمة الامتنانية هي الرحمة المقتضية للنعم السابقة على العمل وهي التي وسع كل شيء والرحمة الوجودية هي الرحمة الموعودة للمتقين والمحسنين... وهي داخلة في الامتنانية لأن الوعد بها على العمل» مصطلحات ص ١٤٩).

(٢) عن الكلاباذي: «قال الجنيد: الرضا: ترك الاختيار. قال الحارث المحاسبي: الرضا: سكون القلب تحت جريان الحكم. قال ذو النون: الرضا: سرور بمر القضاء. قال رويم: الرضا استقبال الاحكام بالفرح. قال ابن عطاء: الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد، فانه اختار له الأفضل». (التعرف ص ١٠٢).

(٣) قال الجنيد: الزهد خلو الأيدي من الأملاك، والقلوب من التتبع. ... قال يحيى الزهد ترك البد. قال مسروق: الزاهد: الذي لا يملكه مع الله سبب... وسئل الشبلي عن الزهد، فقال: لا زهد في الحقيقة، لأنه أما أن يزهد فيما ليس له، فليس ذلك بزهد، أو يزهد فيما هو له، فكيف يزهد فيه وهو معه وعنده، فليس إلا ظلف النفس وبذل ومواساة. كأنه جعل الزهد ترك الشيء فيما ليس له، وما ليس له لا يصح له تركه لأنه متروك، وما هو لا يمكنه تركه» (التعرف ص ٩٤).

(٤) السر: «خفاء بين العدم والوجود موجود معناه. وقد قيل: «السر ما غيبه الحق ولم يشرف عليه الخلق، فسر الخلق ما أشرف عليه الحق بلا واسطة، وسر الحق ما يطلع عليه إلا الحق» (الطوسي، اللمع ص ٤٣٠).

(٥) عن الكلاباذي: «السكر أن يغيب عن تمييز الأشياء ولا يغيب عن الأشياء. وهو أن لا يميز بين مرافقه وملاذه، وبين أضدادها في مرافقة الحق، فان غايات وجود الحق تسقطه عن التمييز بين ما يؤلمه ويلذذه. والصاحي ←

السكينة: خلسة لذيذة تثبت زمانا، أو خلسات متتالية لا تنقطع حينا من الزمان؛ وهي حالة شريفة. ومن اللوائح والسكينة تشتق جميع الأحوال الشريفة. والسكينة، هي ﴿السحاب الثقال﴾[١] قال الله تعالى ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا﴾[٣] فإذا حصلت ملكة السكينة سهل الأمر[٤].

حرف الشين:

الشجاعة: هي توسط القوة الغضبية فيما يغضب له ولا يغضب، بحسب الرأي الصحيح، وهي متوسطة بين الجبن والتهور.

الشريعة: أول ما أوصيك به تقوى الله عز وجل. فما خاب من آب إليه، وما تعطل من توكل عليه احفظ الشريعة فإنها سوط الله، بها يسوق عباده إلى رضوانه. كل دعوى لم تشهد بها شواهد الكتاب، والسنة فهي من تفاريع العبث، وشعب الرفث[٥]. من لم يعتصم بحبل القرآن غوى، وهوى في غياهب جب الهوى. ألم تعلم أنه قصرت قوى الخلائق عن إيجادك، قصرت عن إعطاء حق إرشادك؟ بل ﴿هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾[٦]. قدرته أوجدتك، وكلمته أرشدتك[٧].

الشكر: هو ملاحظة النفس لما نالت ممن أنعم عليها من اعطاء ما ينبغي لها أو دفع ما لا ينبغي - كان من كمالات النفس أو البدن - وتحريك الآلة المعبرة لاخبار النوع بذلك. لما لم يكن الشكر من شرطه أن يكون لكمال بدني، صار أفضل من الصبر؛ لأنه

الذي نعته قبل نعت السكر، ربما يختار الآلام على الملاذ لرؤية ثواب أو مطالعة عوض، وهو متألم في الآلام، ومتلذذ في الملاذ، فهو نعت الصحو والسكر. وأنشدونا لبعض الكبار:

كفاك بأن الصحو أوجد انيتي فحالا في حالان: صحو وسكرة
فكيف بحال السكر والسكر أجذر فلا زلت في حالي أصحو وأسكر (الكلاباذي ص ١٠٠).

(١) الرعد ١٢ (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشيء السحاب الثقال).
(٣) الفتح ٤.
(٤) يقول الجرجاني: السكينة ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن وهو مبادي عين اليقين (التعريفات ١٣٥) وأما ابن عربي فيقول: «ما تجده من الطمأنينة عند تنزل الغيب (ابن عربي ص ٣٩٤).
(٥) الفحش.
(٦) طه ٥٠.
(٧) يعبّر الجرجاني عن الشريعة بقوله: «هي الائتمار بالتزام العبودية وقيل الشريعة هي الطريق في الدين» (التعريفات ص ١٣٣).

ملاحظة النعمة كانت نفسانية أو بدنية، والصبر متعلق بالبدنيات. ومن فضيلة الصبر والشكر، أنه خصص الاعتبار بالآيات، بهما حيث قال ﴿ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾[1]، وغير ذلك مما لا يخفى.

الشوق: هي الحركة الى تتميم هذه البهجة. وكل مشتاق وجد شيئا وعدم شيئا، فاذا وصل بالكلية، بطل الشوق والطلب[2].

حرف العين:

عالم الجبروت: هو العالم العقلي[3].

عالم الملك: هو عالم الاجرام، وكيفية المعاد ونحوه[4].

عالم الملكوت: هو العالم النفساني[5].

العبارة: انظر الاشارة.

العدل: هي حكمة، وشجاعة، وعفة. وكل الفضائل والرذائل متعلقة بهذه القوة.

العذاب: واعلم ان الحركات توجب الكائنات والكل بالقدر السابق. والنفس هي حاملة عذابها معها، لا بأن ينتقم منها منتقم، فيقال: كان ابتلاؤها بالمعاصي للقدر، فعذابها ظلم؛ بل هو كما قيل: انما هي أعمالكم ترد اليكم، وقال تعالى: ﴿وأحاطت به خطيئته﴾[6]، وقوله ﴿ان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾[7].

العفة: هي توسط القوة الشهوانية فيما تشتهي ولا تشتهي بحسب الرأي الصحيح، وهي متوسطة بين الشبق والخمود[8].

(١) ابراهيم ٥.

(٢) قال ذو النون: «الشوق أعلى الدرجات وأعلى المقامات، فاذا بلغها الانسان استبطأ الموت شوقاً إلى ربه ورجاء للقائه والنظر إليه... وأنكر بعضهم مقام لشوق وقال: إنما يكون الشوق لغائب، ومتى يغيب الحبيب عن الحبيب حتى يشتاق (أبو خزام ص ١٠٥).

(٣) يقول الكاشي: «عالم الجبروت عالم الاسماء والصفات الالهية» (الكاشي ص ٨٩).

(٤) يقول ابن عربي: «ما وجد عن الحق من غير سبب» (أبو خزام ص ١١٨).

(٥) عرفه التهانوي: «يطلق على عالم وجد بلا مدة ولا مادة مثل العقول والنفوس» (الكشاف ج ٣ ص ١٠٥٣).

(٦) البقرة ١٥١.

(٧) العنكبوت ٥٤.

(٨) هذه العبارة موجودة تقريبا بالحرفية عند الجرجاني الذي قال: «العفة هيئة للقوة الشهوانية متوسطة بين الفجور الذي هو افراط هذه القوة والخمود الذي هو تفريطها، فالعفيف من يباشر الامور على وفق الشرع والمروءة» (التعريفات ص ١٥٧).

عظم الهمة: وهو أن لا يرضى الانسان من الفضائل، إلا بأعلى ما يقدر. ويوازيه، دناءة الهمة.

العلة: والعلة هي الموجبة، وهي ما يجب بها وجود غيرها. والعلة اذا تمت، وجب أن يحصل بها المعلول، كانت ذات وحدانية أو ذات أجزاء. وكل ما به يصير الشيء علة، فله مدخل في العلية، كان ارادة، أو وقتا، أو محلا قابلا أو غيرها. وعدم المعلول يتعلق بعدم العلة بجميع أجزائها أو بعضها[1].

حرف الغين:

الغنى: ما لا يتوقف ذاته، ولا كماله، على غيره. فواجب الوجود، والعالي في الجملة، لا غرض له في السافل، اذ لا بد وان يكون الغرض أولى بالفاعل وجوده، وما يكون الأولى به فعل شيء اذا لم يفعل، فقد عدم الأولى، فكماله يتوقف على غيره، فتعالى واجب الوجود عن هذا[2].

الغيبة: هي خلسة للنفس إلى عالمها؛ بحيث تغيب عن الحواس. والغيبة عن الحواس حضور في الغيب، وحضور الحواس غيبة عن القدس، قال قائلهم:

إذا نأى عذبني وان دنا قربني اذا تغيب بدا وان بدا غيبني[3]

والغيبة حال يرد على النفس الناطقة عند ملاحظة مراتب المبادىء. فلا تستأهل نفسه القرب، ولا للانتساب إلى واجب الوجود وان كان بنسبة بعيدة[4].

(١) يقول الطوسي: «والعلة كناية عن بعض ما لم يكن فكان. حكي عن الشبلي، رحمه الله، أنه كان يقول في صفة الخلق: «إن الذل كائنهم، والعلة كونهم» وقال ذو النون المصري، رحمه الله: «علة كل شيء صنعه، ولا علة لصنعه معناه - والله أعلم - أن وجود النقصان في كل شيء مصنوع كائن، لأنه لم يكن فكان، وليس من صنع الصنائع لمصنوعاته علة.» (اللمع ص ٤٤٠) العلة تنبيه الحق لعبده بسبب أو بغير سبب» (ابن عربي ص ٣٩٠).

(٢) عن القاشاني: «الملك التام فالغنى بالذات ليس إلا الحق، اذ له ذات كل شيء» (اصطلاحات ص ١٦٧).

(٣) لم ترد هذه العبارة على هذه الشاكلة في كتب الصوفية، ويورد عبد الرحمن الانصاري في كتابه مشارق أنوار اليقين الشطر الثاني من البيت مع تحوير في الشطر الأول، وهو يظهر كالتالي على لسان الشبلي:

كما ترى حيرني شردني عن وطني اذا تغيبت بدا وان بدا غيبني (ص ٩٣)

(٤) الغيبة: أن يغيب عن حظوظ نفسه فلا يراها، وهي قائمة معه موجودة فيه، غير أنه غائب منها بشهود ما للحق» (الكلاباذي ١١٨) وعن الطوسي: «الغيبة غيبة القلب عن مشاهدة الخلق بحضوره ومشاهدته للحق بلا تغيير ظاهر العبد» (اللمع ص ٤١٦).

حرف الفاء:

الفلك: واعلم ان الفلك ليست حركته طبيعية، اذ المتحرك بالطبع يقصد الملائم، فاذا وصل، وقف. وكل نقطة يقصدها الفلك، يفارقها، فليست حركته طبيعية بل هي ارادية ولا بد للمتحرك بالارادة من غرض، وليس غرضه أمراً شهوانيا ولا غضبيا، اذ لا زيادة فيه ولا مزاحم له، ولا ان يحمده السافل، فانه كمال مظنون، فلا يبنى عليه أمر واجب الدوام، وهو الحركة. كيف والسافل لا نسبة له - معتبرة - الى العالي. وليس مطلبه أمرا جزئيا، فانه ان حصل أو قنط، فوقف على التقديرين. فهو أمر كلي، فلها ارادة كلية، وعلم كلي وكلمة ناطقة، فحركتها للتشبه بمعشوق، ونفس بعض الأفلاك، وجرمه ليستا بمعشوقين لبعض، والا لتشابهت الحركات. وليس المعشوق واحدا والا لتشابهت الحركات أيضا. فلكل معشوق خاص هو علته التي تمده بنورها، وهي المفارقات الكلية بالكلية - أعني الكروبيين - فتفيض عليه الاشواق، واللذات غير المتناهية. وللكل معشوق مشترك هو الأول؛ فلذلك تشابهت الحركات في دوريتها. وتحركت الأفلاك لوجدة، ولذة، وتشبهت أجرامها بالعلل، فانها لو ثبتت على وضع، بقي الآخر بالقوة أبدا. ولم يكن الجمع بين الجميع، فاستحفظت بالتعاقب، تشبها للمتجدد، بدوام تجدده بالدائم. فالعوالم ثلاثة: عالم العقل؛ وهو الجبروت، وعالم النفس والكلمة هو الملكوت، وعالم الجرم وهو الملك. والجرم مطيع للنفس، وهي للعقل، وهو لمبدعه.

الفناء: هو سقوط ملاحظة النفس للذاتها من شدة استغراقها في ملاحظة ما يلتذ به. واذا سقط شعورها، بما سوى محبوبها وعن الفناء أيضا فهو المحو والطمس. والعرف ما دام لا يزول عنه النظر الى العرفان، فهو بعد متوسط حتى ينسى العرفان في جلال المعروف. وهذه الأشياء كلها على اللذة النورية تتبنى، والسكينة اذا تمت على حسب الاستعدادات أوجبت هذه الأحكام. وقال سيد الطائفة الجنيد رحمه الله:

طوارق أنوار تلوح اذا بدت فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع[1]

(١) يورد القشيري في رسالته، سئل الجنيد عن قولهم: «حسنات الأبرار سيئات المقربين، فأنشد:
طوارق أنوار تلوح اذا بدت فتظهر كتمانا وتخبر جمع (ص ١٢٦).

وقد سئل الشبلي رحمه الله، فقيل: هل تظهر آثار الوجد على الواجد؟» فقال: «أنوار تلوح على الألواح فتظهر آثارها على الهياكل»[1-2].

حرف القاف:

قاعدة الامكان الأشرف: اذا وجد الممكن الأخس، يكون الممكن الأشرق قد وجد من واجب الوجود، وإلا يكون اقتضى بجهة الوحدانية، الممكن الأخس فاذا فرض الأشرف، فيقتضي جهة أشرف مما عليه واجب الوجود، وهو محال. ولما وجدت الكلمة، والماهيات المجردة عن الأجرام وتصرفاتها بالكلية، أشرف منها، فتجب قبلها، وهي العقول باصطلاح الحكماء والكروبيين والسرادقات النورية بلغة الصوفية والشريعة.

القبض: هو حزن الأنفس، يكاد يبطل دواعيها فيما هي فيه. وقد يكون لكلال[3] القوة الجرمانية، أو لقنوط، أو لالهام ونوم محزن، لم يبق في الذكر عينه، ولكن بقي أثره، فيتحير الشخص في سببه. وقد يكون لشهادة النفس بالنكبة، وغير ذلك، مبادىء الرحمة والنفحات.

قدم العالم: لما دريت ان العالم محتاج الى الصانع، وانه ممكن الوجود، مفتقر إلى موجد، فلا يتصور ان يكون قديما، اذ ليس القديم إلا واجب الوجود - تعالى وتقدس - فتبين لك بطلان مذهب الملاحدة الذين زعموا ان العالم قديم، وان لا قيم للعالم. ودريت أن الافلاك كلها دائرة بأمر الله تعالى وكلمته، لا بطبعها كما زعموا.

القناعة: من تفاريع الشهوانية، وهو ضبط القوة الشهوانية عن الاشتغال بالزائد على الكفاية، وعن الحرص على ما يشاهد من غيره وهي بين الحرص والاستهانة بتحصيل الكفاية[4].

(١) يقول الشبلي: «لا شك أن أنوار التجلي المنسوبة للجلال تمحق رسوم الذوات» (ص ٩٣ الانصاري).
(٢) وقال الجرجاني: «الفناء سقوط الأوصاف المذمومة، كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة. والفناء فنآن: أحدهما ما ذكرنا، وهو بكثرة الرياضة والثاني عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت، وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق» (الجرجاني ص ١٧٦) وأورد الكلاباذي: «قال أبو سعيد الخراز: علامة الفاني ذهاب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالى، ثم يبدو من قدرة الله فيريه ذهاب حظه من الله تعالى اجلال لله، ثم يبدو له باد من قدرة الله تعالى فيريه ذهاب حظه من رؤية ذهاب حظه ويبقى رؤية ما كان من الله لله، ويتفرد الواحد الصمد في أحديته، فلا يكون لغير الله فناء ولا بقاء» (التعرف ص ١٢٦) وعبر ان عربي عن الفناء بانه: «رؤية العبد للعلة بقايم الله على ذلك» (أبو خزام ص ١٣٧).
(٣) الذي يجمع الأجزاء.
(٤) يقول الجرجاني: «القناعة هي السكون عند عدم المألوفات» (التعريفات ص ١٨٧).

حرف الكاف:

الكتمان: وههنا أمور: كتمانها أولى من نشرها. واذا ضبطت نفسك عن الاشتغال بالزائد على مهم بدنك الضروري، واستكملت بالعلم أتيت كثيرا من الفضائل[١].

الكلمة: الكلمة نسبة الى القدس، وأخرى إلى البدن. (لمزيد من التفاصيل حول الكلمة، انظر الى النفس)[٢].

الكلي: إن الشيء إذا علمت، إن لم يحصل منه أثر فيك، فاستوت حالتك قبل إدراكك وبعده، وهذا محال. وان حصل منه أثر فيك، فإن لم يطابقه فما علمته كما هو، فلا بد من المطابقة، فالأثر الذي فيك إنما هو صورته، وهذه الصورة إن طابقت كثيرين سميت كلية، واللفظ الدال عليها كليا كمفهوم الإنسان المطابق لزيد وعمرو وغيرهما. والكلي الذي لا يوجد في الأعيان، فان الموجود في العين حصلت له هوية لا إمكان للشركة فيها. والكلي ما لا تمتنع فيه الشركة لذاته. ولا يتصور الكلي إلا مع لواحق زائدة على الماهية، إذ لا بد من الفارق بين الشيئين، ولا يقفع الافتراق بما به الاشتراك.

الكمال: كمال الكلمة تشبهها بالمبادي بحسب الطاقة البشرية، لا بد من التجرد بحسب القدرة وينبغي أن تكون للكلمة، الهيئة الاستعلائية على البدن، لا للبدن عليها. فكمالها من جهة علاقتها مع البدن[٣].

حرف اللام:

اللذة والألم: واعلم ان اللذة هي ادراك ما وصل من كمال المدرك، وخيره إليه من حيث هو كذا. والألم هو ادراك ما وصل من شر المدرك، وآفته إليه من حيث هو كذا. وقد يصل اللذيذ والمكروه للشيء فلا يتألم، ولا يتلذذ لمانع، كمن به خدر فضرب، أو مرض،

(١) يشكل كتمان الاسرار من النقاط الاساسية في الصوفية ويقول الحلاج بهذا الخصوص:
هم أهل سر وللاسرار قد خلقوا لا يقبلون مذيعا في مجالسهم
لا يصبرون على من كان فحاشا ولا يحبون سترا كان وشواشا (الديوان ص ٦٠).

(٢) يقول الكاشاني: «الكلمة هي ما يكنى بها عن كل واحد من الماهيات والاعيان والحقائق والموجودات الخارجية. وفي الجملة، عن كل متعين. وقد يخص المعقولات من الماهيات والحقائق والاعيان بالكلمة المعنوية، والغيبية والخارجيات بالكلمة الوجودية، والمجردات المفارقات بالكلمة التامة» (ص ٤٢) ويقول ابن عربي: «وليست كلمات الله الا اعيان الموجودات (الحكيم ص ٩٧٥).

(٣) يقول ابن عربي: «الكمال النزيه عن الصفات وآثارها.

فهجر الطعام اللذيذ. ولكل من القوى لذة على حسب كمالها، والم على حسب شرها. فكمال الكلمة، الانتقاش بالوجود - من لدن مسبب الاسباب إلى آخر الوجود -، ومعرفة النظام والمعاد. وكما أن الكلمة، وادراكها، ومدركاتها، اشرف وألزم وأقوى من الحواس وكمالاتها، فتزداد لذاتها بحسبه. إلا أن اشتغال الكلمة بالبدن يمنع عن التلذذ، فاذا فارقت، تلذذت ان استكملت، أو تألمت سيما ان كان لها جهل مضاد - وهو عدم اعتقاد الحق واعتقاد نقيضه -، وهذا مما لا يزول. ليت كان تعذب الاشقياء بالنار الجرمانية، فان الذي ينبعث من ذات النفس: من البعد عن مبلدعها كما قيل ﴿كلا انهم عن ربهم محجوبون﴾[١] والملكات الردية، والشوق إلى عالم الجرم مع سلب الالآت - نعوذ بالله - ألم لا يناسبه ألم ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾[٢] والمنكر للذات الحقيقية، كالعينين اذا أنكر لذة الوقاع[٣].

اللازم العام للماهية: اللازم العام للماهية ما لا يمكن رفعه عنها في الوجود ولا في الوهم، كزوايا المثلث. فان فاعلا لو أراد فعل مثلث دون زوايا ثلاثة، لا يمكنه؛ لأنه محال. والزوايا مع هذه، ليست داخلة في حقيقة المثلث فانه لا بد أن يتحقق المثلث أولا، حتى يكون له زوايا. كل ما يلزم الماهية في موضوع لذاتها، يلزمها في جميع المواضع. وما يكون لازما للماهية لخصوصها، لا يلزم أن يطرد فيما يشاركها في أمر عام. فحرارة النار لخصوص حقيقتها، لا لجرميتها، حتى يكون كل جرم حارا.

لوائح السكينة: هي خلسات لذيذة نورية، تطرؤ فتنطوي بسرعة كالبرق الخاطف قال الله تعالى ﴿هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا﴾[٤] وخلسة لذيذة تثبت زمانا أو خلسات متتالية لا تنقطع حينا من الزمن، وهي حالة شريفة. ومن اللوائح والسكينة، تنشق جميع الأحوال الشريفة. والسكينة، هي ﴿السحاب الثقال﴾[٥]. قال الله تعالى:

(١) المطففين: ١٥.
(٢) الاسراء ٧١.
(٣) اللذة: «ادراك الملائم من حيث هو ملائم، كطعم الحلاوة عن حاسة الذوق، والنور عند البصر، وحضور المرجو عند القوة الوهمية، والامور الماضية عند القوة الحافظة تلتذ بتذكرها» (التعريفات ص ٣٠١) بينما الالم: «ادراك المنافر من حيث انه منافر (م.ن ص ٣٥).
(٤) الرعد ، ١٢
(٥) الرعد ، ١١

﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا﴾[1]. فإذا حصلت ملكة السكينة سهل الأمر[2].

حرف الميم:

المحبة والمعرفة: المحبة هي الابتهاج بتصور حضرة ذات ما. والمعرفة هو ارتسام الحقائق في النفس - بمقدار ما ترتقي إليه طاقة البشر - من ذات واجب الوجود وما يليق بصفاته وأفعاله ونظام صنعه. قد تتقدم المعرفة على المحبة، وقد تتقدم المحبة على المعرفة. والمعرفة اذا كملت أفضت إلى المحبة، والمحبة اذا تمت استدعت المعرفة. ولكن كثيرا من المحبين يتلذذون بالأنوار، ولا يعرفون حقائق العارفين، وقد شاهدت منهم جماعة. وما أحسن ما قال الجنيد: «لا تضر زيادة العلم مع نقصان الوجد، انما تضر زيادة الوجد مع نقصان العلم». والمحبة من لوازم المعرفة وان كانت المعرفة قليلة، وكل معرفة توجب محبة، وان كانت المحبة قليلة. فاذا كملت النفس بهما، فذلك ﴿نور على نور﴾[3]. والمحب من يكون لنفسه فطنة، وحدس قوي، ينال دون تعب عظيم ما لا ينال غيره، والرجل لا يصير أبا إلا بالمعارف، والمكاشفات العظيمة[4].

المحل: انظر الهيئة.

المصطلحات: واعلم، ان الاصطلاحات متقاربة، وكلها عبارة عن سوانح النفس، إما من البدن أو من العالم الأعلى الروحانية. واثبات الروحانيات محو الجرميات. واثبات الصور الجرمية وشواغلها في النفس محو الانوار ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾[5] الذي هو واهب العلوم، وفيه الصور الحقيقية بأسرها.

(١) الفتح ٤.

(٢) أورد الطوسي في اللمع: «اللوائح ما يلوم للأسرار الظاهرة لزيادة السمو والانتقال من حال إلى حال أعلى من ذلك. قال الجبيد رحمه الله: «لقد فاز دلهم وليهم على مختصر الطريق. فأوقفهم على محجة المناجاة، ولوح لهم على فهم الدعوة إلى المسارعة بالمناسبة إلى فهم الخطاب. واذ يقول جل وعز (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) (آل عمران ١٣٣) فنهضت العقول مستجيبة بحسن التوجه لاقامة ما به يحظون عنده (اللمع ٤١٢).

(٣) النور ٣٥.

(٤) عن الكلاباذي: «قال الجنيد: المحبة ميل القلوب. معناه أن يميل قلبه إلى الله وإلى ما لله من غير تكلف. وقال غيره: المحبة: هي الموافقة، معناه: الطاعة له فيما أمر، والانتهاء عما زجر والرضا بما حكم وقدر، وقال محمد الكتاني: المحبة: الايثار للمحبوب (التعرف ص ١٠٩) هذا وقد أورد الكلاباذي عن المعرفة: «المعرفة احضار السر بصنوف الفكر في مراعاة مواجيد الأذكار على حساب توالي أعلام الكشوف (التعرف ١٣٣).

(٥) الرعد ٣٩.

المصطلح الصوفي: لما كان الوارد على النفس إما أمرا متعلقا بالبدن، أو أمرا متعلقا بالقدس، فاصطلاحاتهم تحوم حول هذه الأشياء.

المريد: هو طالب الطهارة الحقيقية قال الله تعالى: ﴿ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[1] فقد جمع المقامين[2].

المقام: اعلم ان المقام عندهم هو الملكة؛ وهي القدرة على الشيء متى اريد من غير احتياج إلى تفكر وكسب واستصعاب[3].

المقدار: أنظر المكان.

المكاشفة: هي حصول علم للنفس إما بفكر، أو بحدث، أو لسانح غيبي متعلق بأمر جزئي واقع في الماضي أو المستقبل[4].

المشاهدة: هي شروق الأنوار على النفس بحيث تنقطع منازعة الوهم. لقد خصها بعض الناس بما ترتسم من الصور الغيبية في الحس المشترك، فيرى ظاهرا محسوسا، وان كان في زماننا جماعة من الجهال، يظنون دعابة المتخيلة - اذا استهزأت بهم - مشاهدة[5].

المكان والمقدار: وكل جسم له مكان يميل إليه بخصوصه. والمكان هو السطح الباطن للجرم الحاوي، المماس لسطح الظاهر من الجرم المحوى، فان المكان من شرطه أن يكون فيه الجرم، ويجوز أن ينتقل عنه، ولا يجتمع فيه ذو امكان. ويختلف بالجهات. والمحدد

(١) البقرة ٢٢٢.

(٢) يقول الكلاباذي: «المريد مراد في الحقيقة، والمراد مريد: لان المريد لله تعالى لا يريد الا بارادة من الله عز وجل» (التعرف ١٣٩).

(٣) المقام: «ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع من تصرف، ويتحقق بضرب طلب، ومقاساة تكلف. فمقام كل أحد موضع اقامته عند ذلك، وما هو مشتغل بالرياضة له، وشرطه أن لا يرتقي من مقام إلى آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام، فان من لا قناعة له، لا يصح له التوكل ومن لاته وكل له لا يصلح له التسليم... والمقام هو الاقامة... ولا يصح لأحد منازلة مقام إلا بشهود اقامة الله تعالى اياه بذلك المقام ليصح بناء أمره على قاعدة صحيحة» (الطوسي: اللمع ص ٣٢).

(٤) الكشف: «رفع الشي عن ما يواريه ويغطيه» (لسان العرب: ج١٢ ص ١٠٢) واصطلاحاً: «هو الاطلاع ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا» (الجرجاني: التعريفات ص ١٩٣) وقال التهانوي: «يطلقون المكاشفة على رفع الحجاب الذي يكون بين الروح الجسماني الذي لا يمكن ادراكه إلا بالحواس الظاهرة وقد يطلق على المكاشفة» (التهانوي: كشاف ج ٢ ص ١٢٥٤).

(٥) يقول الطوسي: «المشاهدة بمعنى المداناة، والمحاضرة. والكشف والمكاشفة تتقاربان في المعنى إلا أن الكشف أتم في المعنى. قال عمر بن عثمان المكي، رحمه الله: أول المشاهدة زواید الیقین سطعت بكواشف الحضور غير خارجة عن تغطية الغيب. وهو التماس القلوب دوام المحاضرة لما وارته الغيوب» (ص ٤١٢).

إن لم يمتلىء من الأجسام، فيحصل للعدم الذي هو حشو مقدار، له نصف وثلث، وهو محال. أو يفرض مقادير قائمة لا في جسم وهو ممتنع. إذ المقدار لو استغنى عن المحل، ما افتقر من جزئيات حقيقية إليه شيء، كما هو ظاهر. وإلى كرية المحدد وما معه، أشير في الكتاب الإلهي، حيث قيل في السماء: ﴿وما لها من فروج﴾[1]، إذ غير الكرى[2] تلزمه الزاوية والفرجة. وهذه الأربعة تحصل من امتزاجها المواليد الثلاثة: المعادن، والنبات، والحيوان. وقد سمعت في الكتاب أن الباري تعالى: ﴿خلق الانسان من صلصال كالفخار﴾[3] أو ﴿من حمأ مسنون﴾[4]. وكونه من الطين، يوجب أن يكون من ماء، وتراب. وصلصاليته صورته للهوائية، ومن الحمأية للنارية.

الممكن: الممكن لا يصير موجودا لذاته، اذ لو اقتضى الوجود لذاته، لكان واجبا لا ممكنا فلا بد له من مرجح للوجود على العدم.

حرف النون:

نصائح وأدعية: صم عن الشهوات صوما ينقطع باستهلال هلال موتك، وورود عيدك بقدومك على مبدئك ومعيدك. صل لربك والليل مظلم، فيسترهبك بتحير حواسك، وبخوفك بهمس أنفاسك، فيلزمك حينئذ الالتجاء إلى نور الأنوار. قف على باب الملكوت، وقل: «يا قيوم الملكوت! الظلام أحاط بي، وحيات الشهوات لسعتني، وتماسيح الهوى قصدتني، وعقارب الدنيا لدغتني، وتركتني بين خصومي غريبا وحيدا. يا من هو أرحم من أبوَيَّ! أنقذني وخلصني من سخطك. أدعوك يا رب بأنين المذنبين! أدعوك يا رب بتأوه المجرمين! أناديك يا رب نداء غريق في بحر الطبيعة، هالك في مهمة الشهوات! ها أنا مطروح على باب كبريائك، أيحسن من لطفك رد الفقير خائبا! أيليق بجودك طرد الكئيب قانطا!؟ كل عبد إذا استجار بمولاه أجاره، فما لعبدك قد استجار بك، فلا تجيره!؟ أسير على الباب واقف يشكو من جيران سوء. لكل أسير قوم يرحمونه. فما بال أسيرك لا ترحم عليه بنظرة منك؟ عبيد الآثمين في فرح ونيل إذا لاذوا بمواليهم، أحسنَ مواليهم إليهم. فما لعبدك الملتجىء بجناب جبروتك، فلا تلتفت إليه بجذبة من جذبات نورك؟ أفيرجع عبيد الآثمين مسرورين في فرح ونيل، وعبد يرجع خائبا عن نوال نورك

(١) ق ٤.
(٢) الكرات (أساس البلاغة ص ٣٩١).
(٣) الرحمن ١٤.
(٤) الحجر ٢٦.

متنكس الرأس بينهم فهلا يقول عبيد الآثمين: ويل لك ما - بالك لم ينظر إليك مولاك؟ ويل لك سعدنا وشقيت، ووصلنا وبقيت! ويل له هذه العطايا يا موالينا فأين عطايا مولاك؟» سبحانك، رب الجبروت، أنت سبوح قدوس، رب الملائكة والروح، أذقني حلاوة أنوارك، وأهلني لمعرفة أسرارك! الهي كم من عبد آبق ألمّ به مرض، فطرده الناس ولم يرضوا بمجاورته، فحملوه وطرحوه على باب مولاه فبينما هو ينوح عفى نفسه، إذ أشرف على صاحبه، فرحم غربته وذلته فقال: «يا عبد سوء هربت عني، ثم عدت إلي حين لم يقبلك غيري فعفوت عنك» إلهي، أنا العبد الآبق حل بي مرض المعاصي. ها أنا مطروح على باب كبريائك على ظمأ، فما بال مريضك لا تعالجه؟ وظمآن لطفك لا تسقيه شربة من زلال عفوك!؟ يا من قذف نوره من هويات السابقين، وتجلى بجلاله على أرواح السائرين، وانطمست في عظمته ألباب الناظرين، إجعلني من المشتاقين إليك، العالمين بلطائفك. يا رب العجائب، وصاحب العظائم، ومبدع الماهيات، وموجود الآنيات، ومنزل البركات، ومظهر الخيرات، اجعلنا من المخلصين، الشاكرين، الذاكرين الذين رضوا بقضائك، وصبروا على بلائك. إنك أنت الحي القيوم، ذو الحول العظيم والأبد المتين، الغفور الرحيم. وعليك بالتسابيح والأوراد، وقطع الخواطر الردية وانقاذ الخواطر الجيدة. وأكثر الدعاء في أمر آخرتك، واسأل الله تعالى ما يبقى معك أبدا، لا ما يزول، ولا تتكلم قبل الفكر، ولا تتعجب في شيء من حالك، فان الوهاب غير متناه بالقوة، وعليك بقراءة القرآن مع وجد، وطرب، وفكر لطيف. واقرأ القرآن كأنه ما أنزل إلا في شأنك فقط، واجمع هذه الخصال في نفسك فتكون من المفلحين.

النصرانية: لمّا دريت ان الباري لا يتقوم بأجزاء - فيما سبق في الذكر - خسرت النصارى حين قالت: لله ابن، بل كان في صحيفتهم الأب بمعنى المبدع، وهو واجب الوجود. وروح القدس عرفته. والكلمة هو الابن الروح القدس على معنى التسبب لا كما قالوا على ما عرفت.

النفس: أنت لا تغيب عن ذاتك، وتغفل عن أعضائك وهيئآتها وجميع أجزاء البدن، فمنها ما شاهدت بقاء المرك من ذاتها ودونها، مثل اليد والرجل ونحوهما، ومنها ما لا تعرفها إلا بالمقايسة أو تشريح، ولا يخطر ببالك إلا بعد حين. فذاتك معقولة لك دون أجزاء بدنك وهيئاتها. فلو كان شيء منها جزء ذاتك، فما علقت ذاتك دونه، إذ لا يعقل الشيء دون أجزائه، فأنت غير هذه الأشياء.

مرة أخرى نقول: عقلت الجسم المطلق، الواقع بمعنى واحد على أجسام كثيرة، مختلفة المقادير والأوضاع. فلو كانت صورته في جرم أو بعض هيئاته متقررة فيه، لزمها وضع خاص ومقدار، لضرورة المحل، فما طابقت المختلفات فيهما. فلما طابقت، فليست بمنطبعة فيه، فحملها منك ذات، ليست بجرم ولا هيئة فيه، ولا يشار إليه لتبرئها عن عوالم الجهات.

مرة أخرى، نقول: أدركت الواحد المطلق - وهو شيء لا ينقسم أصلا - فلو كانت صورته في جرم أو هيئة، فانقسم بالضرورة لانقسام محله. فما كنت عقلت الواحد غير المنقسم أصلا. فلما عقلت، فالعاقل منك بريء عن الأبعاد ولوازمها. وسماه الحكيم النفس الناطقة، والصوفي السر، والروح، والكلمة، والقلب فشرح الكلمة انها ذات ليست بجرم ولا بجرمية، قائمة لا في محل، مدركة، لها التصرف في الجرم.

والكلمة لا توجد قبل البدن فانها ان وجدت قبله، فاما ان تتكثر دون مميز، وهو محال، ولا مميز قبل البدن، من الافعال والانفعالات والادراكات، وهي من نوع واحد ولازم الحقيقة يتفق في اعدادها، واما ان تتحد، فان كانت واحدة ودبرت جميع الأبدان، فللجميع أنائية واحدة، وكان ما علم واحد، معلوما لغيره وكذا مشتهاه، وليس كذا. وان انقسمت بعد الوحدة، فهي جرمية، وقد عرفت استحالة هذا. والشواهد مما يدل على عدم جرمية الكلمة من الكتاب ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾[1]، وقوله تعالى ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾[2]، وقوله ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾[3]، وقوله ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾[4]، وقوله ﴿وإلي المصير﴾[5]، وقوله ﴿وإلى ربك يومئذ المساق﴾[6]، وقوله ﴿وإلى ربك يومئذ المستقر﴾[7]، وقوله ﴿دنا فتدلى﴾[8]، وغير ذلك مما لا ينحصر. وغير متصور حضور ذي الأبعاد الجرمية، وهيئآتها عند الله تعالى أو ملاقاته. ومن السنة قول صاحب الشريعة، عليه السلام: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»[9]. وقوله عند وفاته: «الرفيق الأعلى»[10] وسئل بعض

(١) الفجر ٢٧ - ٢٨.
(٢) المعارج ٧٠.
(٣) القمر ٥٥.
(٤) الأحزاب ٤٤.
(٥) الحج ٤٨.
(٦) القيامة ٣٠.
(٧) القيامة ١٢.
(٨) النجم ٨.
(٩) البحار ج ٦ ص ٢٠٨ باب ٨.
(١٠) الكليني: «الكافي» ج١ ص ٤٠٤ رواية ٣.

المشايخ من أهل التصوف، عن الصوفي فقال: «من كان مع الله بلا مكان»[1]. وقول الجنيد حين سئل عن الحقيقة:

وغنى لي من قلبي وغنيت كما غنى وكنا حيثما كانوا وكانوا حيثما كنا[2]

وقول أبي كالب المكي في حق استاذه الحسن بن سالم: «انه طوى عنه المكان»[3]. قال الحلاج في الطواسين أيضا في حق النبي ﷺ: «انه غمض العين عن الاين»[4]. ويستحيل على الجرم وهيئاته وذي المكان، ان يرفع عن المكان، أو يغمض عن الاين. وقول الحلاج: «تبين ذاتي حيث لا أين»[5]. وقول بعضهم: «طلبت ذاتي في الكونين فما وجدت». وقول الحلاج: «حسب الواحد افراد الواحد له»[6]. وقوله في حق الصوفي: «انه وحداني لا يقبل ولا يقبل». وكل جرم منقسم، وكذا هيئاته، والواحد لا ينقسم. وفي كلام ابي يزيد من هذا كثير، وكلماتهم في ذلك لا تنحصر.

حرف الهاء:

الهيئة والمحل: كل شيء حل في غيره على وجه يكون شائعا فيه بالكلية، لا كالماء في الكوز، سميناه هاهنا بالهيئة وما هي فيه محله.

الهيولى: واعلم انك لما شاهدت صيرورة الماء بالحرارة هواء، فان كان بطل الماء بجميع أجزائه، وحصل الهواء، فما صار أحدهما الآخر، أو بقي الماء بحاله في حال الهوائية، فيكون الشيء ماء وهواء في حالة واحدة، وذلك محال. فإذاً صيرورة الماء هواء؛ هو ان يكون الجوهر الذي فيه صورة المائية زالت عنه، وحصلت فيه صورة «الهيولى»، وهي أحد جزئي الجسم، وامتداد ما جزؤه الآخر، إذ لا يعقل الجسم إلا بامتداد وحامله. والعناصر هيولاها مشتركة، وترى صيرورة الهواء ماء مما تركت الزجاجات التي فيها الجمد، والطاسات الكبوية عليها من القطرات. وليس ذلك لرشح

(١) أورد القشيري: «سئل ابن الجلاء: ما معنى قولهم صوفي؟ فقال: ليس نعرفه في شرط العلم ولكن نعرف أن من كان فقيرا مجردا من الأسباب، وكان مع الله تعالى بلا مكان، ولا يمنعه الحق سبحانه من علم كل فكان يسمى صوفيا (الرسالة ص ٤٠٢).
(٢) الرسالة القشيرية ص ٤٢٨.
(٣) قوت القلوب ج ١ ص ٢٥.
(٤) الطواسين: طاسين الفهم ص ٩٥.
(٥) طاسين النقطة ص ٩٩.
(٦) هذه آخر كلمة تكلم بها الحسين بن منصور عند قتله (ص ٣٤ الديوان).

البارد، فان الحار أولى بالرشح، ولم يعهد منه ذلك. والهواء يقلب نارا على ما رأيت من حال النفاحات والقداحات. والسحاب إنما هو لتكاثف الأبخرة أو الهواء، فإذا تم البرد فينزل مطرا، إن لم يشتد البرد الذي يصيرها ثلجا. وهو على ما يرى في الحمامات من صعود الأبخرة وتكاثفها ببرد ونزولها ماء.

حرف الواو:

الواجب: فالواجب ضروري الوجود، والممتنع ضروري العدم، والممكن ما لا ضرورة في وجوده وعدمه. والممكن يجب بغيره ويمتنع بغيره.

واجب الوجود: ولا يجوز أن يكون شيئان هما واجبا الوجود، فانهما ان اشتركا في وجوب الوجود، فلا بد من فارق بينهما، فيتوقف وجود أحدهما أو كليهما عليه، وما يتوقف على شيء فهو ممكن. ولا يتصور أن يكون شيئان ليس بينهما فرق، فانهما واحد حينئذ.

والأجسام والهيئات كثيرة، وواجب الوجود لا يتصور إلا واحدا، فهي ممكنة. وجميع الممكنات تحتاج إلى مرجح، وهو واجب الوجود سبحانه. وواجب الوجود ليس له جزآن، فيتوقف وجوده عليهما، فيكون ممكنا. ولا يتصور أن يكون الجزآن واجبين أيضا، لما قلنا ان لا واجبان. والصفة لا تكون واجبة، وإلا ما احتاجت إلى محلها. وواجب الوجود لا يستكمل بصفة زائدة، فيكون ناقصا في نفسه، فوهب الكمال لنفسه. وواهب الكمال، أكمل من قابله، فذاته أشرف من ذاته لأنها الفاعلة والقابلة وهو محال.

وأنت لا تشك في أنك أدركت ذاتك بحيث لا تتصور الشركة فيها. فلو كانت صورة عقلية، لكانت كلية، فان ادراكها ليس بصورة. فادراكها لذاته هو انها ذات ليست في المحل، مجردة عن المادة، غير غائبة عن ذاتها. وما غاب عنها، ولا يمكنها استحضار ذاته فيستحضر صورته. وواجب الوجود، تعالى عن الصورة؛ وهو مجرد عن المادة بالكلية، غير غائب عن ذاته وعن لوازم ذاته، «فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض»، وله الجلال الأرفع والكمال الأعلى. وادراكه لذاته حياته. وقدرته علمه، اذ لا يحتاج هو إلى تحريك آلات كما قال أبو طالب المكي (ره): «ان مشيئته قدرته. وما يدرك بصفة، يدركه بجميع الصفات؛ اذ لا اختلاف. ثم»[1] يشير الى الوحدة المطلقة. وقال

١ - أبو طالب المكي: «قوت القلوب» ج ١ ص ٤٣٦.

حكيم العرب علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): «لا يوصف بالصفات»[1] وفي كلام له طول. والعلم لما كان كمالا للموجود من حيث هو موجود، ولا يوجب التكثر في ذاته، وجب له، اذ لا يمكن عليه شيء فيكون فيه جهة امكانية.

طريق آخر: واجب الوجود لا يتصور أن يكون وجوده غير ماهيته فان الوجود اذا أضيف إلى الماهية يكون عرضا، فلا يجب بذاته، وإلا ما احتاج إلى الاضافة. ولا يجوز أن تكون الماهية علة لوجود نفسها، اذ العلة لا بد وان تتقدم على المعلول بالوجود، فيلزم أن تكون الماهية قبل وجودها موجودة، وهذا محال. والأجسام والهيئات ليست ماهيتها نفس الوجود، فان الوجود بمعنى واحد، يقع على الجوهر والهيئات مع الاختلاف في الحقيقة، فهي ممكنة الوجود. وواجب الوجود لا يشارك الأشياء في جزء حتى يفارقها في جزء آخر، لوحدته. ولا محل له، ولا مقاوم، فلا ضد له باصطلاح الخاصة والعامة، ولا ند له. وقد قال أبو طالب المكي في كتاب قوت القلوب: «ان كينونته ماهيته» وفي الحديث ورد في بعض الدعوات «يا كان يا كينان»[2].

الواحد في جميع الوجوه لا يتصور أن يوجب ما ليس بواحد من غير واسطة، فانه لو صدر عنه اثنان من غير واسطة، فاقتضاء أحدهما غير اقتضاء الآخر، ففيه جهتان، يقتضي بأحداهما أحداهما، وبالأخرى الأخرى فليس بواحد.

واذا كان الأول موجبا ومرجحا لجميع ما سواه، والمرجح دائم، فيدوم الترجيح، وإلا يتوقف جميع الممكنات على غيره، ولا وقت، ولا شرط، ولا داعية ليتوقف عليه، كما في أفعالنا. ولا يتصور في العدم حال يكون الأولى به فعل شيء بعد أن لم يكن. وكل ما يسنح له، يعود الكلام اليه من ارادة وحال. ولما أمكنك أن تقول: تحرك الإصبع، فتحرك الخاتم، ولا تقول تحرك الخاتم، فتحرك الإصبع، فحركة الخاتم تابعة لحركة الإصبع، وهي المتقدمة في العقل لا بالزمان، ويسمى نحوه «التقدم بالذات». فلو دامت المتقدمة دامت المتأخرة.

الوجد: عبارة عن كل ما يرد على النفس وتجد في ذاتها من الأمور المتعلقة بالفضائل.

(١) تتواتر الأحاديث المشابهة لهذا الحديث عند الامام علي عليه السلام انظر بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٨٨ رواية ١٥ باب ٦ وج ٦ ص ٢٦ رواية؛ باب ٥ ج ٤ ص ٣١٤ رواية ٤٠ باب ٤٠..
(٢) قوت القلوب ج ٢ ص ٢٢.

الوفاء: هو ثبات النفس على مقتضى ما ضمنت والتزمت. ويوازيه، الجفاء والغدر.

الوقت: عندهم ليس عبارة عن مجرد لذة أو نور، بل عبارة عن هيئة فلكية، أوجبت حصول هيئة للنفس الناطقة، طرأت بطروئها، وزالت بزوالها. فقالوا: «الوقت سيف قاطع»[1] و:«والصوفي ابن الوقت»[2]. فرب هيئة أوجبت حالا من غير تعجب كثير، وما عادت بتشجم كسب الكثير، وهو على ما قال صاحب الشريعة: «ان لربكم في أيام دهره نفحات من رحمته، ألا فتعرضوا لها»[3] فالأوقات موجبة للنفحات.

الولي: واعلم ان الناس يحتاجون إلى من يضبط أمور بيوعهم، وانكحتهم، وجناياتهم ويذكرهم ربهم. ولا يذعن بعضهم لبعض، فيجب من العناية الإلهية وجود شخص في كل عصر مأمور باصلاح النوع، مؤيدٍ بآيات تدل على أنه من عند الله تعالى. فيفرض عليهم قربات الله، حتى لا يكونوا كالبهائم يأكلون ويتمتعون، فيكونوا ﴿كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾[4].

الوهم: انظر الانذارات

حرف الياء:

اليهود: ضلت اليهود حين منعت النسخ وقالوا: «هو الندم»، ولما علمت ان التغيرات واقعة على الاجرام، لا على الله، فأمره غير متغير بل العالم متغير، وكما ان بتغير العالم، لا يلزم تغير المبدع، فبتغير الاحكام لا يتغير الباري بل تغير الحكم بازاء تغير الخلق سواء.

الخاتمة:

واعلم ان الصوفي، هو الذي اجتمعت فيه جميع هذه الملكات الشريفة. والتصوف اصطلاح على هذه. وآخر ما أوصيك به تقوى الله عز وجل ﴿ان العاقبة للمتقين﴾[5] ﴿سبحانك لا علم لن إلا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم﴾[6].

---

١ - القشيري ص ١٢٢.

٢ - القشيري ص ١٢٢.

٣ - روي عن رسول الله ﷺ: «أن لربكم في أيام دهركم نفحات من رحمته» البحار ج ٧١، ص ٢٢١ رواية ٣٠ باب: ٦٦.

٤ - الفرقان، ٤٤ ٥ - الاعراف، ١٢٨ ٦ - البقرة ص ١٣٢.

بحوث ومقالات

❖ الهوية الدفاعية لعلم الكلام

د. أحد قراملكي

❖ مقالة في الإجتهاد

الشيخ مالك وهبي